

عبء الذاكرة

ترجمة : حسن بن سليمان

لجاك ريفال

على غرار الاحتفال بالمئوية سنة 1889 . لكن من كان يتوقع ذلك العدد الهائل من الاحتفالات ؟ ومن كان يتوقع الاحتفال سنة 1985 بنقض مرسوم نانت (1) وسنة 1986 بمرور أربعة عقود على الجبهة الشعبية ، وسنة 1987 بذكرى مرور الألفية الأولى على اعتلاء الأسرة الثالثة للملك فرنسا الحكم والتي افتتحها هيرغ 1 في 987 سنة 1988 بذكرى مرور عشرين سنة على أحداث ماي 1968 . وسنة 1990 بمئوية الجنرال دي غول ؟ كما أننا تذكرنا سنة 1994 دفعة واحدة برميدور (2) (27 جوان 1794) وقضية دريفوس (3) ومرور أربعين سنة على النداء الذي أطلقه القس بيار (4) . كما أثار سنة 1996 الاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة عشر لـ (5) (تنصير كلوفيس ملك فرنسا سنة 496) عاصفة .

كادت تحول الاحتفال قضية دولة ، ويكفي في هذا المقام هذا الجرد السريع للاحتفالات المقامة . وتتولى لجنة الاحتفالات الوطنية التي تشرف عليها وزارة الثقافة إصدار كتاب سنوي

كانت وإلى فترة جد قريبة التجربة التاريخية في فرنسا والذاكرة التي تحملها مدركتين بوصفهما تاريخا لم يكن مصرحا به ولا متصورا بطريقة اعتباطية كان تاريخا متنوعا ومتناقضا لكنه كان ذا أشكال وخاضعا لقواعد غير أن الأشياء تغيرت فقد صار بوسعنا أن نقول مع شيء من تضخيم الظواهر وتبسيطها . إن فرنسا أصبحت منذ حوالي عشرين سنة محطة خصبة ومتعددة الأشكال لعمل الذاكرة . إن جانبها لا يستهان به من نشاطنا التقليدي . مبعث اقتزارنا وموضوع بحثنا تحول إلى إنتاج الذاكرة بأشكال متعددة سأعالج ثلاثة أشكال منها فحسب .

1 . الشكل الأول والأكثر جلاء يتعلق بالاحتفال فقد شهدت نهاية هذا القرن تكاثر مناسبات الاحتفال بأحداث ماضينا المصيرية وقد يحتج علي بأن الأمر يتعلق هنا بمعطى موضوعي يتصل بتراكم مناسبات الاحتفال في بعض السنوات . ولكنني لأعتقد ذلك . وقد يكون مشروعا لنا أن نأمل أن يكون الاحتفال بالمئوية الثانية للثورة الفرنسية احتفالا متميزا

شيء تمّ كما لو أن الفرنسيين تعودوا على معاملة مجموع الآثار الباقية من تجرّبتهم المشتركة والمتنوعة شديد التنوع على أنها ثروة يتأكد الحفاظ عليها وصيانتها بصفة عاجلة أو إرث يشدّهم إلى الأرض . وقد اتخذت هذه الغيرة التي كانت تنمّ عن تعاطف ووجدانية أشكالاً متنوعة بدءاً من صيانة المواقع الطبيعية وصولاً إلى الأعمال الانسانية . ولم يكن هذا الشكل لينفصل في جوهرة عن مشروع متحفٍ ضخم . فقد أشبع في الثمانينات أنه تمّ فتح متحف في فرنسا كلّ يوم ويبدو هذا الرقم مبالغاً فيه ، كما أنه ليس في مقدورنا التثبت من صحته نظراً لأنّ لفظ المتحف يتسحب على ظواهر وأشياء ذات قيمة وطبيعة متفاوتتين لكنّه مع ذلك يشهد على وعي الفرنسيين بتحوّك علاقتهم مع العصر . وهو تحوّك علاقتهم مع العصر . وهو تحوّك يسّ الحاضر نفسه لأنّ المرء يجتهد في المحافظة على ما تبقى من تجرّبه الأكثر قرباً منه تاريخياً . وكما طوّر مجتمعنا نشاطه المتحفى فقد طوّر أيضاً نشاطه التوثيقيّ وهو يجتهد أفضل من أيّ مجتمع سابق ليحفظ عن وضعه الحاليّ كلّ ما أمكن حفظه .

3. الشكّل الثالث وهو شكل إنتاج الذاكرة وتأسيس ما يمكن أن نطلق عليه نظام الذاكرة الجديد . وبالطبع فإنّ الرّبع الأخير للقرن

تقدّم فيه قائمة تتضمّن مشات الاحتفالات المتنوعة الصغيرة منها والعظيمة المحليّة والوطنية والتي تخلّد مآثرنا التاريخية فقد فتح مدفن العظماء (6) سنة 1964 بصفة استثنائية ليستقبل رفات جان مولان (1899/1943) كما استقبل منذ سنة 1987 رفات أربعة عظام مجيدين فضلاً عن رفات ماري كوري (1867/1934) وهاهو يستقبل الآن رفات اندري مالرو (1901/1976) ولست بحاجة أن أذكر أن فرانسوا ميتران دشّن في معبد الاحتفال الوطني هذا بصفة رمزيّة مدّته النيابية سنة 1981 ، وهي مدّة كرّس جانباً كبيراً منها للنشاط الاحتفاليّ .

2. الشكّل الثاني وهو أشدّ جلاءً من الأوّل : يتعلّق بتمجيد تراث الأمة (أ) لقد شهد لفظ التّراث في فرنسا تحوّلاً دلاليّاً هاماً : فقد كان يعني الأملاك المتصرّف فيها والمنقولة في نطاق العائلة أمّا اليوم فهو يعني أولاً المملكيّة المشتركة بين الفرنسيين جميعاً وقد يكون من قبيل الصدفة تقريباً أن يقع في عهد فاليري جسكار ديستان إعلان سنة 1980 سنة التراث في فرنسا بعد سنة المرأة وسنة الطفل . لكنه علينا أن نطمئن كثيراً للصدفة وأن نعترف أنّ الفكرة اتخذت منذ تلك الفترة حجماً لا بأس به على المستوى الإداري طبعا وعلى المستوى الإيديولوجي والمحسوس . فكلّ

العشرين لم يكتشف جنس التذكّر . لكنه أثراه وطوره . إن الشهادات المسجلة في صيغة المفرد المتكلم حيثما سجلت كان ينظر إليها من المنظار التقليديّ على أنّها مساهمة في إدراك التجربة المشتركة وفهمها ونحن نعني طبعاً تجربة الأفراد العظام ولكن أيضاً مساهمة في إدراك حياة الأفراد ذوي التفكير الخطي الذي كان يبدو مثالياً والذين ارتبطوا بمصير مشترك . والمثال على ذلك عدد من السّير الذاتية العمالية في القرن والمناضلة في القرن وإنّ ما نتوقّعه من شهادات الذاكرة هذه وننتظره اليوم لهو العكس تماماً . فنحن ننتظر تأكيد اختلاف كلي وتنوّع جوهري للمجموعة الوطنية . كما أنّنا لم نعد ننتظر ، كما كان الحال منذ جيل سابق ، من ذاكرة البروتستانت وذاكرة اليهود والايطاليين والبولونيين والإسبان البرتغاليين أو من ذاكرة والبروطون أو سكان الازراس أن نعرف كيف أصبح حاملو هذه الذاكرة فرنسيين : بل إنّنا نسعى إلى فهم كيف ظلّ هؤلاء من هم في إطار المجموعة الكبرى فرنسا . ويبدو هذا الأمر جدّ مألوف لدى الملاحظ الأجنبي . لكنّ نظام الاندماج والاستيعاب الفرنسيين داخل المواطنة لطالما رفض تلك الخصوصيات باسم تعريف المواطنة وهو تعريف كان كونياً ومجرّداً . لقد كان تأكيد الذاكرة الخصوصية والمطالبة بها

وتطويرها ، طريقة لاعادة صياغة العلاقة الاجتماعية التي تترجم تحوّلًا عميقاً . ولنتقدّم أكثر . فعلاقة الفرنسي بماضيه برمتها تنحو بشكل ما إلى إعادة البناء من خلال بعد الذاكرة . وهو أمر يصدق على الماضي البعيد الذي يتجدد الشعور به بصفة ملحّة ، وتتمّ إعادة البناء تلك على نسق « ذلك العالم الذي فقدناه » فهو على سبيل المثال عالم مونتاير وعالم حصان الفخر وهما أتران ناجحان خلال سنة 1975 . كما أنّه يصدق على الماضي القريب وخاصّة على « ذلك الماضي الذي لم يشأ أن يمضي » حسب عبارة هنري روسو وهو يتحدث عن فيشي التي تمثّل شهادة حيّة . فتاريخ هذه الفترة الذي طالما عومل باستنكار تمّ إحياءه أولاً بواسطة المؤرّخ الأمريكي روبرت باكستون والمؤرّخ الكندي ميخائيل مارويس . ولم يمنع هذا الوعي المتأخّر الرنسيين من أن يتعايشوا لمدة طويلة وهذا الشبح القديم مع التظاهر بتجاهله وتناسيه . وقد صرّح فرانسوا هارتوغ أنّ فيلم الألم والرّحة دشّن سنة 1972 بداية عمل الذاكرة الذي تزامن مع عفو الرئيس الفرنسي بومبيدو على بول توفبي دون استفزاز مفرط لمشاعر السكان باستثناء حلقة صغيرة تتكوّن من مناضلين عن ذكريات تلك الفترة وخاصّة أبناء المنفيين وبناتهم .

أليس من قبيل التعسّف على الأمور أن

الجزء الأول الذي يحمل عنوان الجمهورية عن جدارة إلى رصد مفاصل الأمة . ومع صدور الأجزاء الثلاثة الأخيرة التي حمل كلاً منها عنوان فرنسا ، تضاعفت المحطات وتشتتت . فلم تعد هيكل تاريخ فحسب حسب عبارة بيار نورا بل صارت محاولة ضخمة لإتقاذ « شظايا تجربة مختلطة من عمر الزمان » . إن إدراك المدى الاجتماعي والمحسوس الذي قد يذكر ، حسبما أوحى بذلك ويلطف هارتوغ ، بالبحث البروستي . لكن تحليلية هذه الذاكرة المتشظاة عملية تحمل أيضاً آثاراً أخرى . فهي تنزع إلى أن تجعل « من كل واحد مؤرخاً لذاته »

ويتوَّفر بين أيدينا دليل مضاد على هذا التحول العميق : فبين صدور الجزء الأول والأجزاء الأخيرة للمحطات استوعبت اللغة المشتركة لفظ « محطات الذاكرة » ومنذ أن أدمج قاموس « روبار » اللفظ وتبنته هياكل الثقافة وإدارتها صار يعني بصفة غير دقيقة كل مايجب انتشاله من النسيان أو إنقاذه من الاندثار . فكل شيء اليوم يمكن أن يكون أو هو بالتأكيد محطة من محطات الذاكرة وكل شيء قد يصبح في يوم ما محطة الذاكرة .

إن اللحظة التي أصفها في اقتصاد والتي تعيننا ليست مقصورة على فرنسا . فنحن قد نجد لها نظائر في عديد المجتمعات . لكنها اتخذت في فرنسا بعداً متميزاً وفريداً لأنها

نفترض أنه لو لم يتم محاكمة توفسي سنة 1994 وأن نفترض أنه لو تم محاكمة بوسكي أو لو أن محاكمة بابون عبأت بقدر كبير الآراء والعواطف طيلة أشهر ، فالفضل في كل ذلك يعود إلى الذاكرة الجماعية أكثر مما يعود إلى المؤرخين المحترفين .

تشابك ثلاث صيغ في تجربة المعاصرين . واني أعتقد أن الأمر يتعلق هنا بحركة في عمق المجتمع لا يستطيع أحد أن يتكهن بدوامها لكن المؤرخين اكتشفوا هذه الحركة وتابعوها أحياناً ونظموها سواء . تعلق الأمر بالاحتفال أو تمجيد تراث الأمة أو بانتاج الذاكرة . لكنهم لم يخترعوها . فأكثر من تقدم أكثر من غيره في استكشاف هذه العلاقة المخصوصة مع الماضي هو بالتأكيد بيار نورا الذي نجح في استدراج وثلاثين من نظرائه إلى حضيرة محطات الذاكرة الهائلة وأصدروا بين 1982 و 1994 سبعة أجزاء تضم أكثر من خمسة آلاف صفحة . ويتعلق الأمر هنا بعمل هام كان أكثر الأعمال جرأة على مواجهة المتعرج الذي حدث في الذاكرة . لكن المشروع ، ويعترف نورا نفسه انحرف بفضل النجاح الذي حققه وبصفة عميقة بفضل الانتظار الذي كشف عنه المشروع . فقد تم الانتقال بعد ثلاث سنوات من اختبار عينات من المحطات ومن أشكال التأليف الجمهوري وهي محاور

جاءت فجأة تقطع مع تقليد جدّ قديم وشبه فريد في تاريخنا الوطني أي في « تاريخ فرنس» كما ألفنا تسميته وعند هذا التقليد أودّ أن أتوقّف لحظة . يجب علينا أن نعترف منذ البداية أن لفرنسا مع ماضيها علاقات تبعث على الحيرة لكنّها متماسكة في آن واحد . فمنذ الفترة الوسيطة ، تحمّل تاريخ الأُمّة أعباء ثلاث وظائف : فقد تكبّد عناء تأكيد الهوية وأدّى وظيفة ضمان الاستمرار، كما أكّد المصير المشترك . وفي اللّحظات السعيدة كان تاريخ فرنسا يدعو لبتّخذ قدوة . أمّا وقت المحن والشدائد فقد كان التاريخ ملاذاً وقد كان كذلك فعلاً . وإلى هذه الألفاظ الثلاثة : الهوية والتواصل والاشتراك وتشابكها التي كانت تعاد صياغته بصفة دورية استندت علاقة الزمن بالتجربة التاريخية طيلة قرون . لذلك يجدر بنا أن نتوقّف هنا قليلاً .

الهوية: إنّ تشبيه فرنسا بالإنسان فكرة قديمة جداً . وقد بيّنت كوليت بون كيف نزعّت إلى اتخاذ شكل انساني مع بداية استقلال تاريخ فرنسا كجنس . وقد عبّر عن الفكرة عينها برمات سنة 1274 في بداية « الأخبار الكبرى » : « ومهما أبدت هذه الأُمّة من فخر وقسوة تجاه أعدائها فهي رحيمة تجاه رعاياها وكلّ من الأُمّة من فخر وقسوة تجاه أعدائها فهي رحيمة تجاه رعاياها وكلّ من تخضعهم لهيمنتها .

ولذلك فقد استحقّت عن جدارة لقب السيدة المشهورة التي تفوّقت على سائر الأمم . ومع تقدّم الزمن زاد الرّمز رسوخاً وتعدّدت الصّور : فنجد شرحاً لفرنسا ، وبحسباً عنها وتخفيفاً لأساها ، وتمجيداً لمآثرها ونداء لها حتّى يزول الأمر إلى أن يزعم بعضهم أنه ينظر إلى مآقيها . وليس هناك أفضل من ميشلي الذي تمكّن من تعزيز هذا الاستباق الجماعي الذي أبهره . إلى حدّ الدوار أحياناً . فقال « انقلترا امبراطورية ، ألماني وطن وجنس أما فرنسا فهي كائن . إنّ الإنسان لا يرتقي سلّم الكائنات إلّا بواسطة الشخصية والوحدة » (لوحة فرنسا 1831) . وصرّح في نصّ آخر شهير يذكر بتنبّه بأحداث جويلية 1830 : « وفي هذه الأيام الخالدة أشرق النور فلاح لي فرنسا . فكنت الأوّل الذي رآها نفساً وإنساناً »

التواصل: إنّ هذا الخيال العضواني أو بالأحرى المتعلّق بسير حياة الأفراد والذي كان دوماً موضوع تفكير وقابلاً للاستبدال عبر العصور كان صيغة نهائية للتعبير عن التواصل الجوهري لمصير فرنسا . وقد كان لافيس (1884) يدرّس لأطفال الجمهورية الثالثة طرفة ذات مغزى تعليمي بطلتها جان دارك « حدّثت ذات يوم شارل السابع لترفع له معنوياته عن القديس لويس وشارلمان . وهكذا فإنّ هذه الفتاة ابنة الشعب كانت تدرك أنّ فرنسا توجد منذ

الأرض (رغم أن الانتساب لرقعة جغرافية وظف منذ فترة مبكرة لتغذية تكهّنات استرجاعية) بل حدث ذلك باسم التاريخ . وقد عبّر ميشليه عن نفس الفكرة بطريقة التي يمكن أن توصف بأنها طريقة غير مقبولة ولكنها تظلّ مبتكرة «إن أقلّ الأشياء قدرية وأكثرها إنسانية وحرية في العالم لهي أوروبا، وأكثر الأشياء انتسابا لأوروبا لهُوَ وطني ، وهو فرنسا» . وسيعبّر رينان عن الأمر عينه لكن بصيغة أقلّ تمجيدا وهو يعرف في نصّ شهير له الأمة بوصفها «مبدأ روحياً» مثبتاً في تجربة مشتركة . ومن خلال هذه الصياغات المختلفة ندرك المعنى الثاني الذي يخصّ المجموعة الفرنسية بتميّز مطلق . فتحنّ نجد لدى ميشليه كما لدى رينان قناعة مفادها أن فرنسا حظيت منذ البدايات في سرّائها وضرائها بشرعية فريدة وامتنياز لا يوازي . ويبدو هذا التخصيص جدّ قديم لكنّ فرنسا اكتسبت مع الثورة الفرنسية مضامين ووسائل وصدي تمّ تضخيمها تضخيماً مبالغاً فيه ، لكانّ القطيعة الشورية . بداية جديدة في تاريخ الانسانية أو ولادة ثانية وتقمّصاً حقيقياً . أقرّت فضلها السابق واعترفت بأنّها مسيح الأمم . إنّ تأكيد الديمقراطية الانسانية سمحت بتقديم التميّز الفرنسي للانسانية جمعاء على أنه مثال . وقد تجلّت المهديّة (الاعتقاد في عودة المهدي المنتظر) بطرق مختلفة : الحرب،

زمن بعيد وأنّ ماضيها زاخر بالذكريات المجيدة . كما تكفلّ المعلمون الذي انتسبوا إلى بلد أنخنته جراحاً هزيمة 1870 باستلهاهم المتابع الأخلاقية والثقة التي استلهمتها تلك الراعية من التاريخ حسب هذه الرواية التعليمية . وفي الواقع فإنّ تاريخ فرنسا برمته اجتهد منذ البداية في إنتاج النسب أو الأصل الذي جعل وظيفة الالتجاء ممكنة وهنا نعرش على الأهمية الحاسمة للرواية التي مكّن بناؤها من تشكيل سائر الأزمنة التالية : وهي رواية الأصول، رواية التعاقبات والتعاقبات (المنشودة بطريقة منظّمة) التي شكّلت وظيفتها ضمان المدى الجدير بالصيانة . ولكي يزيد في حثّ تلاميذ التعليم الابتدائي على الاستعداد في الفصول إلى ردّ الفعل والشار كان لافيس يعلمهم : «كان سكان فرنسا القدامى أجدادكم جنوداً بواسل . كان الفرنسيون أجدادكم جنوداً بواسل» . وبالتالي فقد كان الانتصار بالضرورة مصير الفرنسيين الاشتراك : يجب علينا أن نفهم اللفظ هنا فهما مزدوجاً . فالاشتراك هو قبل كلّ شيء اشتراك في المصير . فقد تمكّن الفرنسيون ومنذ فترة طويلة أن يستمدّوا من تلك التجربة المشتركة والمتواصلة التي تعود إلى طروادة أو القول حسب أساطير التكوين أسباب الحياة الجماعية : ولم يكن ذلك باسم الدّم ولا باسم

فأبدى الوزراء والسياسيون مواقفهم. وختاماً سمح للأساتذة أن يدلوا بدلوهم. وقد اضطرَّ هذا الأمر مؤرِّخ المجتمعات القديمة الكبير بيار قوبار إلى تأليف تاريخ فرنسا للمبتدئين 1984 «مساهمة في إحياء المعرفة والوعي» بأمة «لم تكن بصدد تضبيب ما كان بالأمس يسمَّى ضميرها أو ما كان يسمَّى روحها» حسب اعتقاده. وسرعان ما عكف معلِّمو المدارس والمعاهد على الأمر طويلاً ليشخِّصوا هذا الخلل لكنَّ صوته لم يكن قطَّ مسموعاً لكنَّ الأمر كان مختلفاً هذه المرة. إذ وقع تشكيل لجنة حسب العرف الجمهوري ونتج عن ذلك إصلاح (جزئي) في برامج التعليم لم أعلم وأخشى ألا يعلم أحد. ما كان جدواه فقد تجاوزت الأحداث الموضوع. ولست محقاً في التهكم على هذا الموضوع. فورا ما يخفيه من عبثية والتوظيف السياسي الذي خضع له من قبل فهو لا يخلو من خطورة أو دلالة. ذلك أنه كشف، بطريقة معينة، أزمة الهوية الفرنسية التاريخية، أو أنه بالأحرى ترجم اختلالاً بين انتظارات، وهي غالباً ضبابية، الفرنسيين من فرنسا التي لاتزال تبحث عن التطمينات والتشجيع في أعماق التاريخ ورواية الأمة القديمة التي لحقت باقتضاب شديد خصائصها ووظائفها تلك الأمة التي جعلت منها المدرسة طيلة قرن كامل الوسيلة المفضلة في التعليم المدني. وهذا

الاستعمار كما تجلّت بصفة عامة ومألوفة من خلال القناعة بقدرتها على احتلال مركز العالم. إن فرنسا هي البلد الذي ادَّعى اختزال ماضي الانسانية جمعاء. ذاك كان في البداية مشروع متحف اللوفر وعلمته. كما أنها البلد الذي انعكس مستقبله الذاتي على الانسانية أو أجل المستقبل الذي كانت تنوي افتتاحه باسم الانسانية وهكذا تأسس على المدى الطويل خطاب التصق التصاقاً وثيقاً بالهوية الوطنية. وقد استوعبت المدرسة هذا الخطاب المتعدد الأشكال خاصة منذ وصول الجمهورية الثالثة للحكم وهي التي ضخمت بصفة رائعة غير أنه يجدر بنا الحديث عنه [الخطاب] في صبغة الماضي لأنه يشكو اليوم أزمة امتدّت للرواية المؤسسة للأمة. وحسبي أن أذكر بأحد أعراض هذه الأزمة التي لا أرغب في تضخيم خطورتها. لكنها مع ذلك تضلّ ذات مغزى. فمنذ ما يزيد على خمسة عشر سنة. أي في 1983. 1984 وقع نقاش تجنّد له رجال السياسة والعلماء في فرنسا بكاملها. إنّ فرنسا أخذت تفقد ذاكرتها وصار أبناءها يجهلون تاريخها أو أنهم لا يتعلمونه جيّداً إلى درجة أنهم لا يدركون تسلسله أو دلالته. وانطلقت الادانة من أعلى درجات الدولة ذات يوم فاهتزّ رئيس الجمهورية لذلك. ثم تتالت ردود الفعل حسب التسلسل وحسب العرف

في فقدان الثقة فيما سمي معنى التاريخ . وقد آل الأمر بفرنسا ، بعد أن أجل الجنرال ديغول والحركة التقدمية التصريح بهذه الحقيقة المؤلمة ، أن اعترفت بأنها لم تعد قوة عظمى . وقد شكّل انتهاء الحروب الاستعمارية والولادة المستعصية للعالم الثالث والأزمة الاقتصادية العالمية وإعادة ترتيب الأوضاع القاسية التي فرضتها هذه الظروف وأزمة النظريات الفكرية والايديولوجية الكبرى عوامل زعزعت ثقة في التاريخ طالما لم تناقش .

وهكذا لم يعد المحاضر مستعداً عليه وبالأحرى المستقبل . ولئن ظللنا قادرين على المفاخرة على التنبؤ ، فذلك من أجل ملاحظة اكتمال بعض التطورات الكبرى التي ستتكسر عند عتبة الألفية الثالثة . لقد صار بوسعنا أن نستشعر زمن النهايات : نهاية التقدم ونهاية الايديولوجيات ونهاية الفلاحين ونهاية الطبقة الكادحة ونهاية العائلة وأخيراً نهاية « تميز » سياسي طبع خاتمة فترة ثورية امتدت مائتي سنة ولنا بحاجة في هذا السياق إلى مناقشة ذلك التشخيص الصادر عن جهات متعددة بل حسبنا أن نقر أنه يصب في واد واحد ليسدّ الأفاق . وبالمقابل فإن الماضي الذي فتن الجمهور لم يعد الماضي الذي يحمل القناعات ويعبئ الطاقات الروحية بل إنها شواطئ التاريخ الثابت المعبأة شوقاً وهو العالم « الذي ضاع عنا

الاختلال كان سبباً في إرباك الوسيلة المفضلة في التعليم المدني كما كان سبباً في اضطراب عميق . لقد حملت رواية الأمة في ذاتها ، لدى لاقيس سنة 1880 أو معلّم العشرينات الذي أهدى له بيارقويار ذكرى اعتراف أو لدى المعلمين الذين درّسوا جيبلي أنا في الخمسينات ، لديهم جميعاً ولدى تلاميذهم معقولة . وكانت تكشف مجموعة قيم ومعانٍ مشتركة . أمّا ما يحدث اليوم فكل شيء يوحى بأن الوضع لم يعد كما كان سابقاً . وقد يبدو هذا التأكيد من باب المفارقات : فالجمهور الفرنسي - على غرار ما يحدث في عديد المجتمعات الأخرى لم يستهلك أبداً من التاريخ مقدار ما استهلك منذ عشرين أو خمسة وعشرين سنة في أشكال متعددة : كتب وأفلام وصحف وصور ومتاحف بل وأكثر من ذلك فتاريخ المحترفين (التاريخ العلمي) وجد لدى الجمهور صدى شبه خرافي كما يشهد بذلك تناسل المجموعات والكتب التي حققت أفضل المبيعات وكتب إحياء الذكريات . ويجب علينا ألا نغتر بهذا الأمر . فهو يخفي تراجع ذلك الانتصار الذي شكّل موضوع التاريخ وينضاف لهذا مجموعة أسباب تضافرت تتناجحها لتحول في العمق علاقة الفرنسيين بماضيهم . وأولى هذه النتائج تحوّل الحساسيات وقد تجسّم ذلك منذ عشرين سنة

التفسير تحوّل منذ نصف قرن وخاصّة خلال العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة تدريجيّاً ليصبح مدخلاً للمجتمع : فلم يعد يهتمّ بلويس الرابع عشر بل بحياة عشرين مليون فرنسي . وهو تحوّل كبير يحدث . إنّ التقسيمات التاريخية وتعاقب الأسر المالكة والتواريخ الهامّة والانجازات والاكتشافات كلّها علامات فارقة وموكّدة على درب التقدّم الذي تمّثل مع مصير فرنسا . لكن وما إنّ يهتمّ تاريخ فرنسا - قبل كلّ شيء - بتاريخ شكل الحقول والهيكل العائليّة وتاريخ الاطعمة والاحلام وآداب العشق (الغزل) ، بطرح مشكل انتقاء ماهو مهمّ وذو معنى .

فقد استعمل ذوق الجمهور ، ذلك الذوق الذي ظلّتم أجباناً للكتب المدرسية ، من التجربة البعيدة تاريخياً لمدرسة الحوليات ضرباً من الأخبار عن الحياة اليومية المتّصلة وثيق الاتصال بالمواقف المادية . وسواء تعلّق الأمر باعدام العلاقة مع روح الحوليات أو بارتباط الخطاب التربوي بأهداف مغايرة لتلك التي يوحى بها منطق البحث فالنتيجة الحاصلة هي تسطيح إدراك الزّمن والتشويش التّسبي في الخطاب التّاريخي . وإذا تحوّل كلّ شيء ، مادة تاريخية فأيّ شيء سنروي اليوم ؟ إنّ القص التّقليدي لم يعد ممكناً غير أنّنا لاندرى بما سنعوّضه في حين أن المجتمع مسكون بهاجس

أما الزّمن السّحيق . الزّمن الخام . ذاك الذي لا بداية له ولا مقصد فهو الذي صار موضوع بحث واستثمار جديدين ومكثّفين . ومن خلاله نعيد اكتشافنا لأشكال الحياة الاجتماعية التي لطالما خلناها دون جدوى مثل السلوكيات الجماعيّة وأشكال التضامن العضويّ ونظم العيش المشتركة والمجتمع بلا دولة والتي تتفاعل مع مخاوف الحاضر الكبري . بل إنّنا ننزع إلى اعتبار الحاضر الذي نعيش تاريخياً . وقد ذكر بياونورا ، وهو على حقّ . أنّنا نعمل بلا كلل على تنظيم الماضي التي سيأتي يوماً من الأيام . فنحن بالتأكيد جدّ منشغلون بما سنخلقه بعدنا ، كما أنّنا أوّل من يسعى إلى التّحصن (التوقّي) جذريّاً من عملية الاستصفاة التي سيقوم بها الزّمن ونتيجة ذلك ندفن أنفسنا في ثنايا التاريخ ونحن لا نزال أحياء .

إنّ الكتاب والصورة ووسائل الإعلام فضلاً عن التاريخ العالم الذي اكتسح جمهوراً واسعاً خارج المدرسة تستجيب كلّها إلى هذه الرّغبة المعبر عنها بطريقة ضبابيّة . كما أكّدت مختلف اتّجاهات البحث هذا الأمر وهو ما يدعو إلى التّفاؤل . وبإمكاننا أيضاً أن ندرك كيف عزّز هذا الالتقاء المحتمل مخاوف الحاضر . فخطاب التّعليم والتاريخ أسّس لفترة طويلة بوصفهما تفسيراً متواصلاً للأمة . لكنّ هذا

للتفكير في تاريخ فرنسا واقتراح تنظيم جديد له في إطار الردّ على تلك الاستفسارات والظنون . وسأختم التحليل بالحديث عن هذه المحاولات ذلك أنّه يمكن لنا أن نضع في مواجهة هذا التشخيص الحال ك ، وأرجو أن يكون نزيها ، كما من الكتب التي عالجت تاريخ فرنسا منذ عشر سنوات رغم أنّ واحدا منها فقط يحمل هذا العنوان : وهو الكتاب الذي وضعه جورج دوبي وإيمانويل لروي لادوري وفرنسوافيري وموريس اغلهون وهو بالأساس تاريخ سياسي يمتدّ من الفترة الوسيطة إلى .

كما أنّه يظنّ . في مجمله ، وفيّا للنمط الكلاسيكي : فالجزء الذي خصّصه فرانسوا فيري للشوثة (الفرنسية) سنة 1988 يكشف موضوع إلى أيّ حدّ يمكن تشويش النسبج التاريخي من الداخل في حين اختارت سلسلة أخرى تحمل عنوان تاريخ الفرنسيين برأسها ايف لوكون أن تنخرط في سرد تاريخي موجز للتاريخ الاجتماعي للقرنين 19 و 20 أمّا الثالثة أي محطات الذاكرة والتي تحدّثت سابقا عن بنيتها المركّبة ، فهي الأخرى تقطع عن اختيار مقصود مع جنس تاريخ فرنسا : فبنيتها المنفجرة فضلا عن إبراز مقصود مع جنس تاريخ فرنسا : فبنيتها المنفجرة فضلا عن إبراز عمل الذاكرة الأساسي في بناء فضاءات تدلّ على التاريخ يجعلان منها دون شك المؤلف الذي

رغبة محمومة في التذكّر .
يجب علينا أن نقرّ الآن أن المحترفين أنفسهم مضطربون ذلك أنّ اتّساع ميدان المؤرخ كان اتّساعا هائلا كما أنّ علم (التاريخ) ضاعف مواضيعه ولم يفتأ يقتبس بصفة متزايدة من مناهج العلوم الاجتماعية ومنجزاتها . وقد استعصى التحكّم في هذا الانتشار المتسارع وتنظيمه حتّى أنّه صار بوسعنا افتراض «انفجار» التاريخ وهو تشخيص في حاجة إلى تعديل كما أنّه في حاجة إلى تخليصه من خلفيات الجدل التي لا يسته . لكنه مع ذلك يكشف عن أزمة : فكيف يمكن تنظيم مشهد متقطع ، متشظّ تضعه الدراسة أمامنا ؟ هل مازال خطاب التأليف ممكنا وبأي شروط ؟ إنّ النقياش يتجاوز مشكلة تاريخ فرنسا ويتجلّى اليوم بطرق متباينة من خلال الاهتمام المتجدد بعلم التاريخ مثلا كما يتجلّى في استفهام متعدّد الأشكال ومتحمّس لأجناس تاريخيه طالما كانت بمعزل عن النقاش :

ما التاريخ الذي يمكن أن نكتب ؟ وكيف نكتب ذلك التاريخ ؟ إنّ تاريخ الأمّة هو من دون شك ، الذي تعرّض أكثر من غيره للتشكيك بصفة جذريّة لأنّه لا يهّم فقط هويّة العلم بقدر ما يهّم هويّة مجموعة حيّة . ويجب علينا أن ننزل المحاولات الحديثة لإعادة

تجارب» . فهي تظلّ كما ظلّ المتوسط على عهد فيليب الثاني أو كما ظلت محطات الرأسمالية الحديثة ، في نظر المؤرخ واقعا اشكاليا يجب عليه أن يعيد بناءه من جديد .

فهل يسمح لي بعد كل هذا أن أضع في مواجهة هذه الأعمال الكبرى من : تاريخ فرنسا التي رأسها جمعية أندري برقيار بين 1989 و 1993 ؛ نعم وأرجو أن أفعل ذلك دون غرور ولكن مع اقتناع بأن مشروعنا يتدرج ضمن المشاغل التي كنا نتحدث عنها . فتاريخ فرنسا بصيغة التعريف لا بصيغة التنكير : (في

الجملة الفرنسية باضافة ال قبل الاسم) كان طريقة للتذكير بأن موضوع بحثنا ، وليس نقطة انطلاقه ، هو فرنسا ذاتها في تماسكها وبناء تجربتها التاريخية . وبالطريقة نفسها ، سعينا سعيا بينا إلى القطع مع رواية - حكاية الأمة لمعالجة هذه التجربة الثرية من خلال مجموعة محاور : الفضاء ، الدولة ، النزاعات والأشكال الشكافية التي بدت لنا صورا أصيلة يمكن رصدها في الحاضر وتطعيمها لبحث استرجاعي كما أقصينا فرضية الأخبار التاريخية الواحدة والموحدة من خلال العمل على إبراز وحدات تاريخية متعاقبة بصفة مختلفة وتنظم فيما بينها بطريقة متغايرة . فالتاريخ الممكن تأسيسه انطلاقا من هذه التمارين لم تعد له علاقة يسيرة فرنسا التقليدية . لم يحن بعد

وضّح أكثر من سواء وصاحب فيض الذّاكرة الذي سبق أن تحدّثت عنه أفضل من أي مؤلف آخر .

أمّا الرابعة والتي كانت بالتأكيد منتظرة أكثر من سواها فهي التي تركها رحيل فرناند بريول غير تامة ولم ينجز منها سوى ثلاثة أجزاء تحمل عنوان « هوية فرنسا » والمنشورة سنة 1986 . لقد كانت منتظرة لأنّها من المحاز أحد أكبر مؤرخي هذا القرن ، ولأنّه لم يكن هناك أبعد عن مصالح البحر المتوسط (ق 15 . 16) .

وعن مؤرّخ هذه الفترة من إطار التاريخ الوطني الضيق والمقيد لحريّة المؤرّخ . لكننا نخشى لأنّ صراعنا لا يزال متوقفا : فحتّى عندما يفتتح كتابه الآخر وهو يعلن عن العشق القاسي والمعقد الذي يكنّه لبلده ، فهو سرعان ما يتجرّد (من هذا الشعور) ليتبنّى موقف الملاحظ عن بعد ويتخلّص من إغراءات التماثل . فيرويل ليس ميشليه رغم ما يظهره نحوه من إعجاب ورغم رفضه أن يتشبّه به وطموحه الذي عبر عنه بجلالاته تمثّل في كتابة تاريخ يسعى أن يعيد صياغة موضوعه مع التخلص من العادات المكتسبة مقابل سلسلة من التجريبات المعقولة .

وهكذا وعلى المدى الطويل ومن خلال منهج مقارن « تبدو فرنسا الماضية مخبر

الأوان لتقديم حصيلة هذه المشاريع التي لم تنضج بعد في نفس الوقت الذي تشبّد فيه العلاقة التي يقيمها مجتمعنا مع تاريخه وذاكرته بهذه الدرّجة من الكشافة . ولست بالتأكيد أفضل من يقدّم هذه الحصيلة . علاوة على افتراض وجود تجارب أخرى لم تكتمل أو لم تنجز بعد . وهي محاولات تختلف بعضها عن بعض في الحيشيات والتحليل المقترحة وفي تنظيم المحاور والخطاب كما في الأسلوب أمّا المحاولات الثلاث الأخيرة أي محاولة نورا ومحاولة بروديل ومحاولتنا فتتفق حول نقطة واحدة على الأقل على تباينها الشديد فيما بينها .

في الخاتمة (المؤقتة نرجو ذلك) التي توصل إليها بيار نورا بعد عبور محطات «الذاكرة» طرح الاستفهام التالي : «كيف نكتب تاريخ فرنسا اليوم؟» . وقد يبدو الاستفهام انكاريا خاصّة ، كما بيّنا ذلك ، مع تعدّد المحاولات وتجديدها وهو ما يوحي بعودة حقيقية لجنس بدأ وأنه مهجور . ولكن الاستفهام ليس في الحقيقة انكاريا لأن طرح السؤال بتلك الصيغة هو شبه اعتراف بأن الموضوع ، دون اعتبار الجنس والشكل ، يتمثّل في البحث عن المعقولة التي يعبر عنها انفجار الذاكرة الحسام الذي نلاحظه اليوم وهو بحث لا يمكن ومن هنا تولّد اقتناع لدى أصحاب هذه

المحاولات بأن هويّة فرنسا لا يمكن اعتبارها أمرا يقينيا أو حتى إجابة بل يجب أن تحمل محمل السؤال (مثلا هي في التجربة اليومية) ، وقد يكون من المهام الملقاة على عاتق المؤرخ أن يشبع الرغبة في البحث عن المعقولة بأدواته المخصوصة وهي النقد والتحليل ولبس التماثل . وبذلك فإنّ تعدّد كتب تاريخ فرنسا التي تنتهك قواعد الجنس (التاريخ) في نهاية القرن ليست من قبيل الشعور بالواجب الوطني بله القومي الذي ألصق بمؤلفي تلك الكتب . فقد صار من الضروري العمل على سدّ الخلل الذي تشكّره الأمة وفيض الذاكرة لضرورة مواجهة متطلبات الحاضر .

ولئن كنّا نتحدّث بصفة اختيارية وعن حقّ أحيانا عن واجب التذكّر فإنّه من المفيد أن نذكر بواجب التاريخ .

1 . أحيل هنا إلى الخاتمة التي توصل إليها بيار نورا في الجزء الأخير من محطات الذاكرة (ج 3 ، م 3 ، ص 1012/975) والتي تحمل عنوان «عهد الاحتفال»

جاك ريفال : من قدام مدرسة الترشيع العليا ومدرسة روما الفرنسية . مدير مساعد لمجلة حوليات التاريخ والعلوم الاجتماعية . انتخب رئيسا لمدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية سنة 1995 . عبء الذاكرة الذي ينشره هنا معهد الأبحاث المغاربية لمحاورة ألقاها بمناسبة صدور تاريخ فرنسا الذي اشترك في تأليفه حوالي عشرون مؤرخا .

* فرناند بروديل : هوية فرنسا . باريس 3 أجزاء .

1986

- * روبارباكستون وميخائيل ماري : فيشي واليهود ،
باريس كلمان . ليفي 1981 ، 432 ص
* روبارباكستون : فرنسا على عهد حكومة فيشي
1940 . 1944 باريس سوي 1974 ، 378 ص
* جاك ريفال واندي بروكار (مدير) : تاريخ فرنسا
سوي 1989 . 1993
* اوسات فالنزي : التاريخ الوطني ، تاريخ المعالم
محطات الذاكرة (ملاحظة نقدية) في : حويلات تاريخ
العلوم الاجتماعية 1995 ، 6 ص 1271 . 1277 .

- * بيار قريار : التدريب على تاريخ فرنسا باريس
1986 . 489 صفحة
* فرنسوا هارتوق : الزمن والتاريخ : « كيف نكتب
تاريخ فرنسا ؟ » في حويلات التاريخ والعلوم
الاجتماعية 1995 ، 6 ص 1219 . 1236
* جورج دوبي وإيمانويل لروي لادوري وفرانسوا فيري
وموريس أغلهون : تاريخ فرنسا هاشيت .
* إيف لوكين : تاريخ الفرنسيين في القرنين
باريس ارمان كولاثم 1985
* بيار نورا : محطات الذاكرة باريس قالبيمار 3
أجزاء

في الأعداد القادمة

- ! شعر : بسمة البوعبيدي
..... شعر : محمد العائش القوتي
..... شعر : شعوف شريف هزاع شريف
..... شعر : سمير تهيمش
..... شعر : رياض العيفي
..... شعر : بلقاسم برهومي
..... شعر : نورالدين الصولي
..... شعر : جلال باباي
..... شعر : مختار المومني
..... شعر : عبد الحق الطرشوني

* بيار نورا : « لافيس ودوره في تكوين الشعور
الوطني » المجلة التاريخية جويلية . سبتمبر 1962

«قصيدة النثر»

العصف بالمرجعيّات

(1)

بقلم : محجوب الطرابلسي

ما زال يلاقي تحفظاً عند البعض واستنكاراً عند البعض الآخر علاوة على انتصار أكثر «الشعراء الشبان» لهذا الضرب من الكتابة ورغم كلّ هذا استطاعت «قصيدة النثر» أن تصمد وتثبت وتفتح بشعريّتها عند كثير من التجارب الشعريّة رغم خطورة ما أقدمت عليه من عصف بالمرجعيّات الشعريّة داخل اللغة الشعريّة العربيّة المتوارثة ، فما هو هذا الشكل ؟ وإلى أي مدى عصفت قصيدة النثر بهذه المرجعيّات التي ذكرنا ؟

3 - «قصيدة النثر» لغة واصطلاحاً :

لقد عدنا إلى لسان العرب قصد البحث في معنى أو مفهوم هذين المصطلحين فوجدنا :

أ - لغة :

* قصيدة (1) : القصيدة من مادة قصد يقصد قصداً ، والقصد استقامة الطريق والقصد إتيان الشيء ، تقول : قصدته وقصدت له ، وقصدت إليه بمعنى . وقصدت قصده . نحوت نحوه . والقصيد من الشعر سميّ بذلك لكماله وصحة وزنه .

1 - التمهيد :

ما زال الكثير منا يردّ ما قاله أسلافنا القدامى في خصوص أسس «نظرية الشعر» التي وضعوها . إنّ الأدب «نظم» و«نثر» وأنّ هذا مختلف عن ذاك ، وقد سلّم الكثير منا بأنّ ما في هذه التسمية «قصيدة النثر» من اضطراب وقلق على مستوى العبارة ما يخوّل اعتبار إلحاق هذا النوع بجنس الشعر ضرباً من فلسفة الشعر التي تحتلّ الرّحبان حيناً ولا تحتلّه في أكثر الأحيان ولم نتفطن إلى أنّ ما يقابل الأبيض ليس الأسود دائماً ، فهناك الأحمر والأخضر وغيره . كذلك الشعر ، وأن تكون لنا ثمار عدّة أفضل من ثمرة واحدة أو ثمريّتين وفي نهاية المطاف ألا تعدّ نظريّة الأجناس من أكبر ما جنى على التراث الأدبي العربي ؟

2 - المقدّمة :

لعلّه رغم مرور قرابة نصف قرن على ظهور «قصيدة النثر» في الشعر العربي المعاصر إلّا أنّ هذا اللون من الكتابة الشعريّة

الفرنسيّة من لبنان ، وقد كانت موجودة في الخمسينات لكن بشكل هامشي ومقموع، فمع انكسار المشروع القومي بعد 1967 بدأت التيارات الهامشيّة تظهر مرّة أخرى مثلاً للأعقلانيّة المدمرة لأدونيس ، وقد بدأت تحلّ محلّ العقلانيّة المنطقة لصالح عبد الصّبور .

وقد ذهب بعضهم إلى التصريح بأن قصيدة التفعيلة لم تعد هي المتن ، فقد اجتاحت قصيدة النثر الجميع ، وهي تنطلق حالياً من موقف مختلف تحاول إظهار الشعر بعيداً عن سطوة الصّوت وعن فكرة الشاعر النبيّ داعي الدعاة وعمّا أشار إليه البعض الآخر بهيمنة المركز . فلم يعد لدينا الآن الشاعر الأوحّد والكاتب الأوحّد والقائد الأوحّد ممّا جعل غيرهم يعتبرون أن هذا التصريح بذلك كارثة حقيقية .

4 - هويّة وجذور قصيدة النثر :

حين أطلق تسمية « قصيدة النثر » سنة 1960 ، وقد كانت آنذاك عنوان دراسة حول هذا المفهوم لاقت هجوماً بالغاً اتخذ شكلاً سياسياً ، إذ رأى فيها الذين هاجموها ، وما زالوا يهاجمونها خرقاً لمبدأ الشعر العربي ، وبالتالي تهديداً لثراث اللغة الشعريّة العربيّة ، لكن على الرّغم من ذلك ، تكاد اليوم « قصيدة النثر » أن تكون الطريفة التعبيريّة الغالبة ، خصوصاً لدى الشعراء الشبان .. بل تكاد أن

وقال ابن جنّي : سمّي قصيداً لأنّه قصّد واعتُمِد وإن كان ما قصّر منه واضطرب بناؤه نحو الرّمل والرّجز شعراً مراداً مقصوداً ، وذلك أنّ ما تمّ من الشعر وتوفّر أثر عندهم وأشدّ تقدماً في أنفسهم ممّا قصر واختلّ ، فسمّوا ما ظال . ووفر قصيداً أي مراداً مقصوداً ، وقال الأخفش : القصيد من الشعر هو الطويل والبسيط التامّ والكامل التامّ والمديد التامّ والوافر التامّ والرّجز والخفيف التامّ .

* النثر (2) نثر : اللَّيْث : النثر نثر الشيء ، بيدك ترمي به متفرّقا ، مثل نثر الجوز واللوز والسكر ، وكذلك نثر الحبّ إذا بذر ، وهو النثر ، وقد نثره ينثره وينثره نثراً ونثارة ونثره فانثر وتناثر ، والنثارة : ما تناثر منه وفي حديث ابن مسعود وحذيفة في القراءة : هذا كهذ الشعر ونثراً كنثر الدقّل أي كما يتساقط الرطب اليابس من العذق إذا هزّ ، وتناثر القوم : مرضوا فماتوا والنثور الكثير الولد وكذلك المرأة ، وقد نثر ولداً ونثر كلاماً : أكثره ، ورجل نثر بين النثر ومنثر ، كلاهما : كثير الكلام ، والأثنى نثرة فقط .

لكن كيف تجمع هذه التسمية بين مصطلحين ظلّاً طوال قرون يعدان من المتناقضات ؟ كيف ظهرت هذه « القصيدة النثرية » في العالم العربي (3) .

خرجت « قصيدة النثر » وهي ترجمة للقصيدة

من أن تتكيف مع عبقرية اللغة العربية، وبشكل أدق مع شعريتها الخاصة... فحين أستخدم «قصيدة النثر» كشكل سبقني إليه الآخر، يجب أن أنتج ما يغير نتاجه. وبعمامة أقول حيث أستخدم طريقة ما من طرق الآخر لابد من أن أعربها. أن أعطيها سمة لغتي الخاصة وشخصيتي الخاصة، وأبعاد الرؤيا الخاصة بي رؤياي إلى الإنسان والحياة والعالم والحق أننا إذا استثنينا بعض مظاهر التقليد الذي لا يخلو منه شعر في أية أمة، وفي أي عصر فإن هذا التكيف الذي أعنيه متحقق تماما.

ويرى أدونيس أن «قصيدة النثر» مثلا، هي اليوم قصيدة عربية، بكامل الدلالة، بنية وطريقة، مع أنها في الأساس مفهوم غربي، وقد أخذت بعدها العربي خصوصا بعد تعرف كتابها على الكتابات الصوفية العربية فقد اكتشفوا في هذه الكتابات، وبشكل خاص كتابات النثري (المواقف والمخاطبات الوأبي حيانا للشوحدي) الإشارات الإلهية، البسطامي (الشطحات) وكثيرا من كتابات محي الدين بن عربي والسهروردي أن الشعر لا ينحصر في الوزن، وأن طرق التعبير في هذه الكتابات، وطرق استخدام اللغة هي جوهرها شعرية، وإن كانت غير موزونة، ويرى أن في النتاج الشعري العربي الراهن ما يتقدم على

تتحول عند بعضهم إلى نوع من الحماسة العصبية، فتصبح مقياسا حداثيا وزنيا يميزا للدخول في الحداثة الشعرية العربية، ولا شك أن في هذا خفة كثيرة، لكن لا بد من أن نتفهمها، إيجابيا بين أشياء أخرى كبيرة يدفعهم إليها طموحهم المشروع للخروج من العالم القديم، وقد ذهب إلى ذلك أدونيس مؤكدا أن الشعرية العربية تقوم في جانبها الطليعي اليوم على التجريب المفتوح، وعلى أن الخصوصية الإبداعية هي تبعا لذلك، خصوصية الذات الشاعرة، لا خصوصية الجماعة أو التراث وعلى أن الشعر سير في فضاء الحرية، وتأسيس له في أي أنه تحرك دائم في اتجاه ما لا ينتهي. وفي هذا يجعل الكتابة الشعرية استقصائية، خارج المعطى المحدد والمحدود، أي يجعل منها مشروعا لا يكتمل، إلا جزئيا، شأن الإنسان نفسه، وبصرح (4) «كان واضحا لدي أن هذه المفهومات، تدخل الحداثة الشعرية العربية في ائتلاف مع الحداثة الشعرية الغربية، حيث ينظر إليها في ذاتها، ويعزل عن سياقها في الممارسة. ولهذا كان حرصي شديدا، تنظيرا وممارسة، على أن الشاعر العربي الحديث يجب أن ينتج الاختلاف. عن الشعر الغربي الحديث، وإن كان يستخدم بعض مفاهيمه التقنية أو النظرية إذ لابد لهذه

العروض كالأوزان الاصطلاحية والأبهر العرفية،
ويضيف الرّيحاني أن «لهذا الشعر الطليق»
وزنا جديدا مخصوصا .

وقد تجي . القصيدة من أبهر عديدة متنوعة
« وقد التزم الرّيحاني بالقافية مما دفع رثيف
الخوري لأن ينفي عنه أمر استحداث فني جديد
في الأدب العربي لأنه حسب رأيه . الخوري . لم
يزد أن صنع سجعاً فحسب ولقد مرّ نعيمة ، مرّاً
سريعاً على الشعر المنشور وأطلق عليه مصطلح
« الشعر المنسرح » نافياً أن يكون لهذا الاسم
صلة بالبحر الخليلي المعروف وإنما في نظره
الدافع لاختيارها ما تعنيه هذه الكلمة من
الانطلاق والحركة في الجري إلى الهدف بسهولة
ويسر ودون قيود ولقد أبرز صفات هذا النوع
من الشعر بعدم تقيده بوزن أو قافية ، وجريه
« على السجية جرياً ليس يخلو من الإيقاع
الموسيقي والرّنة الشعرية » (7)

كما أظهر سعيد عقل حماسة واندفاعاً
بارزين لهذا النوع من الشعر وذلك في تقديمه
لديوان توفيق صايغ « ثلاثون قصيدة » المشتغل
على قصائد من الشطر المنشور « أن الحياة
تشوّق أبداً إلى الحلم ، وكالتّاج القلبي هي
تعاش نشرة فكأنها لم تكن ، وحده يمرّ في
الأرض مرّاً مليناً من كانت حياته قصيدة » (8)
وفي عام 1959 طالعنا الناقدة خالدة
سعيد برأي أكثر جرأة واندفاعاً حين أعلنت

الشعر الرّاكن في الغرب الأوروبي رؤى وطرائق
، فهذا الشعر عنده « دخول فاجع ، لكنه أسر
في مجهول ما ، وهو يرفض أن تقاس عظمة
المبدع اليوم ، بمدى قدرته على معاشية أو
احتضان المجهول ذلك اللّانهائي في الإنسان
والكون ، وفي مدى تأصله في الكشف الذي
يقود إلى مزيد من الكشف » .

رغم أن الحركة الأدبية تركت نتاجاً قيماً
في مجال النشر الشعري بدءاً من حركة
المهجرين (جبران - نعيمة - الرّيحاني) وانتهاء
بما تركه الأدباء المحدثون حتّى نهاية العقد
السّابع من هذا القرن فإنّ المعالجات التقديّة
لهذه الظاهرة الفنية ، اقتصرّت على ملاحظات
سريعة غير مدقّقة لم تتعدّ النظرة العجلى
الوصفيّة إلى مقومات هذا الفنّ .

5 - الشعر المنشور وظهور قصيدة النّثر إبداعاً ونقداً :

أول من اعتنى بالشعر المنشور ، كتابة ونقداً
وتعريفاً هو أمين الرّيحاني الذي قدّم لمجموعة
له من هذا الشعر (هتاف الأودية) معرّفاً
الشعر المنشور بأنّه حركة شعريّة جديدة الشعر
الحرّ الطليق ، ولقد جاء هذا الشعر نتيجة
للارتقاء الشعري عند الافرنج بفعل إطلاق
« شكسبير » للشعر الإنكليزي من قيود القافية،
وإطلاق « وولت وثمان » الشعر من قيود

1 - هل يمكن أن نخرج من النثر قصيدة ؟

لقد ردّ أنسي الحاج على هذا السؤال بالإيجاب طالما أن معيارية التمييز الحقيقي بين الشعر والنثر لا تقوم على النظم ، وزنا وقافية ، لذلك ليس هناك ما « يمنع أن يتألف من النثر شعر ، ومن شعر النثر قصيدة نثر » ومن ثمّ ينبّه هذا الشاعر الناقد إلى خطر توهم بأنّ « الشعر المنشور والشعر الشعري هما قصيدة النثر » لذلك يؤكد إنّ « الشعر المنشور والنثر الشعري الموقع على وجه المحصر هما عنصر أوكي في ما يسمى بقصيدة النثر الغنائية ، لأن لا

غنى لهذه القصيدة عن النثر الموقع »

2 - ماهية قصيدة النثر ومقوماتها :

وإن اتبعت قصيدة النثر بالغنائية واحتاجت إلى النثر الموقع فمن الواجب أن تشمل على رؤيا صادرة عن تجربة عميقة وأن تأتي منصهرة في وحدة عضوية ، « لأنها أكثر من قصيدة الوزن حاجة إلى التماسك ، وإلاّ تعرضت للرجوع إلى مصدرها ، النثر ، والدخول في أبوابه من مقالة وقصة ورواية و « خاطرة » أمّا إذا لجأت هذه القصيدة إلى الأساليب النثرية ، من سرد واستطراد ووصف فمن الواجب أن تجرّد هذه الأساليب من غايتها الزمنية ووظائفها المتمثلة بأدراك أهداف معينة ترمي إلى الإفهام والإخبار وتوصيل المعارف .

بصريح القول خلال نقدها مجموعة محمّد الماغوط « حزن في ضوء القمر » أنّ « النثر الشعري » في هذه المجموعة شعر وإن لم يعتمد الوزن والقافية ، ومن ثمّ وجهت اللوم للغالبية القراء في البلاد العربية ، لأنها لا تسمي هذه المجموعة شعرا « اللفظ الصريح » وتبقى عند حدود المصطلحات السابقة « شعر منشور » « نثر شعري » أو « نثر فني » . مع أنّ هذه الغالبية « تُعجب بهذه المجموعة وبمثيلاتها على أساس ما فيها من مادة شعرية وكلّها ترفض أن تمنحه إسم الشعر » .

ويجدر القول أنّه لئن تنوعت هذه المعالجات بين رافض وقابل معتدل ، ومؤيد بحماسة لهذا النوع الشعري ، فإنّ « قصيدة النثر » التي ولدت في الحركة الأدبية اللبنانية على أيدي عدّة شعراء نذكر منهم على سبيل المثال أدونيس ، أنسي الحاج - يوسف الخال - شوقي أبي شقرا - وغدت الفن الشعري المفضل عند كثير من الشعراء العرب ، لم تزل عناية النقاد العربي كظاهرة شعرية لها حدودها ومقوماتها الاصطلاحية ، إلاّ في نهاية العقد السادس من هذا القرن حين استهلّ أنسي الحاج ديوانه ثمّ دلف بمقدمة نظرية عرض فيها بعمق لتلك الظاهرة وقد كان لمجلة شعر الصادرة ببلتان دور رئيسي من خلال هؤلاء الشعراء في تبلور هذا النوع من الشعر .

إلى الحرية تفوق حاجة أي كان إلى الحرية «إنه يستبيح كل المحرمات ليحرر». ولئن كانت قصيدة النثر نتاج شعراء «ملاعين» فهي لا تنحصر بهم، وأهميتها تتسع للآخرين جميعهم بين مبارك ومعافى بين راض ورافض حيث إن «الجميع يعبرون على ظهر ملعون» (10).

تلك هي رؤية النقد اللبناني إلى النثر الشعري وقصيدة النثر، وإذا استثنينا وقفة أنسي الحاج في مقدمة ديوانه «دُلن» حيث عدّ نفسه شاعراً، ملعوناً يخرج على الأعراف والمفاهيم الأدبية السائدة، وما قدمته خالد سعيد من تحليل حول ديوان «لن» لأنسي الحاج وآرائه النقدية النظرية. (11).

نرى أن المعالجات النقدية التي عكسها هذا النقد، لم تتعدّ إشارات سريعة، تتمّ بالوصف، وعرض جوانب جزئية من ظاهري النثر الشعري و«قصيدة النثر» دون أن تصل إلى البحث التحليلي المتخصص الذي ينزع إلى دراسة هاتين الظاهرتين، كحالتين مستقلتين تستحقّان تحديدات نظرية توضّح معالهما وتظهر مالهما من ظروف ومعطيات وارتباطات مع ظواهر الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية والسياسية.

كما أن غلط المعالجة قد تمّ في ضوء المفاهيم السائدة التي ترى أن الشعر لا يكون إلاً موروثاً مقفّياً، ممّا أدّى إلى ردة فعل عند

وعند ذلك فقط تدخل هذه العناصر النثرية في كتلة لازمية «لاغائية» هي «قصيدة النثر».

لذلك يؤكد أن قصيدة النثر تحتاج إلى توقّف ثلاثة شروط هي «الإيجاز (أو الاختصار) والتوهج، والمجانية» إضافة إلى ماسبق ذكره من ضرورة اشتغالها على الغنائية والإيقاع والرويا والوحدة العضوية.

ولقد عمد إلى مجاءء عند «سوزان برنار» في كتابها «قصيدة النثر من بودلير إلى أيّامنا» سعياً وراء إيضاح تلك الشروط وما يتصلّ بها من مقومات لقصيدة النثر.

3 - حرية قصيدة النثر وحرية شاعرها :

إن شروط قصيدة النثر ومستلزماتها التي تمّ ذكرها لم تمنع أنسي الحاج من التأكيد أن هذه القصيدة تتمتع بقانون حرّ، يؤمن الحرية للشعر والشاعر، «لأن الشاعر الحرّ هو النبيّ العرّاف والإله، الشاعر الحرّ مطلق، ولغة الشاعر الحرّ يجب أن تظلّ تلاحقه لتستطيع أن تواكبه، عليها بالموت والحياة، كلّ لحظة، الشاعر لا ينام على لغة...» (9)

ولقد دفعته هذه الدعوة إلى حرية شاعر قصيدة النثر إلى أن يرى في هذه القصيدة «عمل شاعر ملعون... يضيق بعالم نقيّ إنّه لا يضطجع على إرث الماضي. إنّه غاز وحاجته

6. النصّ النثري والنصّ الشعري / الشعرية :

انطلاقاً ممّا رأينا كيف يمكن لنا أن نفرّق بين النصّ النثري والنصّ الشعري وكيف يمكن تحديد النثر والشعر من خلال المرسلّة الكلاميّة؟

١. **النثر** : هو المرسل من الكلام إرسالاً ، لا ينتظم داخل وزن ، أي في موسيقى لفظيّة محدّدة تنخرط في النصّ بأكمله ، ولا يتصل بالشعور بقدر ما يتصل بالعقل . وهذا يعني أنّ النثر مرسلّة كلاميّة موجّهة إلى العقل أساساً ، غير منتظمة في شكل تلفظي داخليّ معيّن يكون موسيقى أو إيقاعاً هيكلياً للنصّ يرفده به وزن ما ، وبذلك فإنّ مادّة اللفظة «نثر» بمعنى رمي الشيء فتفرّق كما ذكرنا أنفاً في تحديد مصطلحي «القصيدة» و«النثر» وبذلك يتميّز النثر بعدم الانتظام الموسيقي من ناحية ويطابعه العقلاني ، من جهة أخرى ، أمّا :

2. **الشعر** : فمرسلّة تحتوي عناصر المرسلّة النثرية من لغة وكلام وفكر (مادّة) ولكنها تنحرف عنها لتصبح تعبيراً متّصلاً بترتيب معقّد واضح أو غير واضح يختلف عن ترتيب النثر المباشر ، ويختصّ عنه بتجاوز المعنى الوضعي للكلمة ، ويتولّد ذاكرة جديدة لها غير ذاكرتها المعهودة ، ولهذا اختصّ الشعر عندنا بالانحراف ، أي أنّ هذه المرسلّة الشعريّة عادة ما لا تكون عاديّة ، بل متجدّدة في إيصالها

رواد «قصيدة النثر» وأنصارها ، جعلت هذه القصيدة نقبضاً للشعر الموزون بعيداً من أيّ تحليل قسّادر على توضيح هذه الظاهرة في إطارها الموضوعي المستقلّ ، وتوفير المسوّغات التي تزيل حالة التناقض بين قصيدة الوزن وقصيدة النثر .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشعر المنثور وقصيدة النثر اكتسبا وجوداً موضوعياً في عالم الأدب ، عبر استقلال تامّ عن الأنساق العروضيّة يختلف مستوياتها . ممّا يفرض ضرورة اتّخاذ موقف من هذه الظاهرة لا يقتصر على رفضها ، لأنّ الرقّض معناه عدم دراستها كظاهرة لها وجودها الموضوعي إذا لا يعدو الرقّض أن يكون موقفاً سلبياً ، غير قابل وغير مؤثّر . لذلك كان من الواجب التعامل مع ظاهرة الشعر المنثور وقصيدة النثر بإيجابية على صعيد النقد والتحليل والبحث ، بهدف كشف ما فيها من مظاهر تجديد وإبداع أو جمود وتقليد ، ومن ثمّ إبراز مقسّماتها ومنطلقاتها وموقعها ضمن الفنون الأدبيّة ، خصوصاً بعد أن غدت تلك الظاهرة موئل العديد من الشعراء اللبنانيين والعرب ، وذلك انطلاقاً من موقف لا يبخس «قصيدة الوزن» حقّها ولا يتجاهل في الوقت ذاته «قصيدة النثر» لأنّ عالم الشعر كفيل بأن يتقبّل هذين النوعين من القصائد بعيداً من حالتي التناقض وردّات الفعل .

النثر في قالب وزني». وسنحاول أن نرصد ما سبق أن ذكرناه على أحد النصوص الشعرية التي تكتب الآن، فنستخرج منه مقدار الانحراف، وندرس الحركة الشعرية في المرسلة، نختار كنص نموذج «قصيدة أنهار لأعالي الضوء» لنص رسامي وهو عنوان مجموعته الثانية.

أ. البعد الدلالي في القصيدة: هذا النص وإن كان طويلا بعض الشيء، فإنه كان حافلا بالدلالات العميقة، فهو إن كان في كلماته وفي بعض صوره أقرب إلى الاتجاه الرومنسي، فإن أساس هذه الكتابة وجوهر هذه القصيدة هي كتابة التمرّد ويتضح ذلك جليا من خلال تمرّد الكتابة.

فالتمرّد ينطلق من العنوان إذ يوهم العنوان منذ البدء بالارتفاع ويعبور الأنهار للوصول إلى أعالي الضوء، ويتضح كذلك من خلال هذا التنظير الشعري للشعر أن الكتابة عنده «مواجهة وانتصار» وعصف بحدود المعنى المعروف وبالمرجعيات عموما، ويتضح ذلك في قوله «لن أسمع فعلم فعلن بعد الآن.. إني لا أرغب في لغة ماتت». وتمرّد هذا النص أساسا على كلّ من يعوق سيره الإبداعي: «يأتي النص لأننا نريد أن يأتي». فمعركته مع أشكال القدامى معركة مصيرية «أقرّر موت المعنى ويد توارب المحو والفجائع» فالقضية

وفي شكل توجهها إلى المرسل إليه (المتقبل) ولها بذلك طبقتان: أولى: هي طبقة النثر، والثانية هي ما انحرف ليصير شعرا أي ما تجاوز ذاكرته المألوفة فقصّمها ليقطع فيها ذاكرة جديدة أو حطم سقفه الدلالي وهذا هو بالضبط الانحراف الشعري.

وبذلك ففي الشعر عموما لا تكون الكلمات رموزا وضعية محدّدة، بل تتخذ لها معنى مخالفا في كلّ مرسلّة شعرية (قصيدة) وبذلك تكون قراءة الخطاب الشعري قراءة مزدوجة:

قراءة مسطّحية نثرية لمعرفة روابط النصّ ومفاصله، وقراءة ثانية عموديّة لفهم مدى الانحراف الذي يتحكّم بالنصّ، والرباط الدلالي في كلماته من ناحية وفي عالمه التخيلي (تخييله) من ناحية أخرى.

النصّ — نثر — مرسلّة ذات ذاكرة مألوفة
شعر — مرسلّة ذات ذاكرة منحرفة

والمفارقة التي تختصّ بها «قصيدة النثر» هي أنها نثرية ومع ذلك مرسلّة ذات ذاكرة منحرفة. وكما تقول الدكتورة ديزيرة سقال (12): «الموسيقى لا تكون حصرا في الوزن، أو في التفعيلة المتكرّرة، بل تكون أيضا في أحرف الكلمة المفردة، بعيدا عن مصطلح «وزن» الذي عرف قديما (كما في ما يسمّى قصيدة النثر)، أمّا النظم فليس إلا

وثمة ثنائية تشكّل جدليّة أساسيّة في هذا النصّ وفي المجموعة بأكملها :

1 . الحياة : الفتح . الخلق . الصّباح . الضّوء . أنا الله

2 . الموت : اللّيل . الأجساد الواقفة . الأموات . للأموات ربّ آخر غيري .

يسقط مفهوم الخالق (الله) بمعناه التّقليدي تسقط السّلطة العليا للوجود والسّبب الأوّل له :

الخالق (أنا الله) ، يصبح الشّاعر هنا خالقا من عدم خالقا لما لم يتمّ التّفكير فيه بعد ، لأرض لا خالق لها ، أي لا رقيب عليها يسلّط الزّمن ،

إنّها أرض الحرّيّة المطلقة ، أرض الرّقض « لن أسمع فعلن فعلن بعد الآن » ويعني تدمير الإله

الفنّي تدمير الرّقابة المفروضة مسبقا على كلّ مفهوم الحياة وهي نقيض الموت ،

فإنّ الشّاعر يبحث عن عقل جديد ، يرفض الماضي وأشكال تصوّره ليدخل إلى أرض

المستقبل هكذا يتّخذ الرّحيل معناه وطموحه ، فهو أرض آنيّة لا حدود لها ولا تصوّر ، أرض

هي نقيض أرض الماضي ، يحدّها الرّقض ، الحرّيّة .

متعلّقة أساسا بتحقيق الكيان ، فالنصّ يشور ويتمرّد على أشكاله القديمة أي يشرّع لموت

النصّ الفرد ويفتح الباب مشرّعا لتأويلات النصّ الجمع ، والكتابة عنده ليست إلا لمحو

الأجناس : « تعلّمت فكّ الحروف فقط والذهاب إلى الميّتين وقذف نوافذهم بالحجر ... »

فالشّاعر يمرّ من تمرّد الكتابة إلى كتابة التمرّد ، فالنصّ يدور على ذاته أكثر ممّا يدور على

عالمه ، فالشّاعر يسافر ، راحلته اللّغة بها ينحت صوتا متفرّدا جديدا ، فهي رحلة بحث

لغويّة « تنأى بي الكلمات والأشياء » ، والشّاعر يصرّح بما يتكبّده من مشاق في

سبيل بلوغ مناه « أنحمّل عبء المسافات وحدي وأحمل عبء الفضاء » والحركة نفسها تعكس

مفهوم الحياة وهي نقيض الموت ، الحركة تعيّن الموت ، إنّها جدليّة الموت

وحياة ، والثّبات موت ، إنّها جدليّة الموت والحياة وانتصار الحياة على الموت ..

و« نوافذ » الميّتين لا يراد بها نورد يوجين الباحث عن المعرفة ، لأنّ نوافذ الموت تترك في الخلف ، تهجر ، تصير شيئا لا حياة فيه ، إنّها صورة

الموت هنا ، صورة الإقامة في الماضي والمراوحة

يتبع

رحلة في الشعر التونسي

بعد أبي القاسم الشابي

بقلم : حسني سيد لبيب - القاهرة -

النفوس، في فترة من أحلك الفترات، إذ سيطر المستنعر على مقدرات الأمة العربية، لذا جاء ت الصيحة القوية المدوية التي أطلقها الشابي من تونس، وكان الصدى قويا إذ رددتها الملايين من بعده (2) :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر
إذا الشعب يوما أراد الحياة الحرة الكريمة،
فلا بد أن يحقق بالإرادة والكفاح كل ما يريد.
فالقدر لا يستجيب للشعوب المستضعفة
المستكنة. وهاك صيحة الزعيم الوطني المصري
مصطفى كامل تدوي في مصر وتردد صداها
في أرجاء المنطقة العربية، إذ يقول : « لاهية
مع اليأس، ولا يأس مع الحياة ». فمن أراد
الحياة الحرة الكريمة، عليه أن يقاوم عوامل
اليأس والإحباط ، ويتشبّه بمعاني القوة
والإرادة ...

جذبني عنوان الكتاب : (رحلة في الشعر
التونسي بعد أبي القاسم الشابي) للأديب
رشيد الذواذي، حيث تناول المؤلف الحركة
الشعرية في تونس، في عصر الشابي وما بعد
الشابي، واختيار نماذج شعرية لكل جيل .
ورجعت بي الذاكرة إلى سن الحداثة، حين قرأت
أشعار الشابي وتأثرت بمعانيها القوية وصورها
الفنية الموحية، فحفرت في النفس دوائر وجد
لا يمحوها الزمان (1). تلك عظمة الشابي.
فمن غيره بثّ إرادة الحياة لشعبه المغلوب على
أمره ؟ ومن غيره فتن بالطبيعة الخلابة وعشق
القطرة والوجه الصبوح ؟ جاء شعر الشابي كله
عذبا منتهل طيبا أريج قويا يحاذه ، حتى
صار مفرخة تونس.
وإذا راجعنا دواوين الشعراء التونسيين،
قرأنا شعرا كثيرا، لكن القليل منه يبقى،
يحرك الوجدان ويشجي القلب. فالشابي
علامة مضيئة في سماء الشعر العربي.
ولأحد ينكر الأثر الواضح الذي تركه في

ضم الكتاب نماذج شعرية كمختارات تخضع لمزاج المؤلف، الذي انحاز إلى شعراء خصهم بنماذج أكثر، وإلى موضوعات يعينها وافقت هواه، وصور جمالية أقرب إلى نفسه، فاصطحبها معه في رحلته الشعرية . وفي هذه المختارات الشعرية نلاحظ ميل المؤلف إلى اختيار القصائد التي تتغنى بتونس وحب الوطن، وإلى القصائد الدينية، مع ميل لبعض قصائد الغزل العفيف، مع اختيار قصائد وصفية عن حال الأديب والشاعر واليتم والراقصة وغيرهم ! ... وبذل الجهد في حشد أكبر عدد من الشعراء القدامى والمعاصرين، بغية إمتاع القارئ وهو يصحبه في قارب صغير يتهادى في بحور الشعر، ومن حوله رياض الأغنية وطبوع ترفرف كأنها تحتضن بأجنحتها الأفق المترامي. وفي المختارات صور جمالية مستوحاة من الطبيعة الخلابة، ومن النفوس الطيبة، ومن معاني إنسانية رقيقة. وحرص المؤلف على تقديم النماذج دون تعليق أو تحليل نصي، فيما عدا الدراسة الموجزة التي تميل إلى السرد التاريخي للرحلة الشعرية عبر عقود زمنية متعاقبة، أكثر مما تميل إلى دراسة نصية للمختارات، تاركة الحكم للقارئ، يعجب بقصيدة ويستبعد أخرى، ماشاء له حب الإمتاع والمؤانسة .

والملاحظ أن بعض قصائده المختارة نقلها

وذاك شاعر المهجر إيليا أبو ماضي يردد مقولته السائرة : « كن جميلا تر الوجود جميلا » . فلن نحس بجمال الوجود إلا إذا تبع الإحساس من داخلك ... وقس على ذلك مقولات شعرية ونثرية أخرى ، تعرج بك على نفس الطريق وتترك الأثر البالغ في النفوس، وتظهر قوة الأديب حين يعبر عن آلام وآمال الإنسان بصدق وشفافية، حين يعبر صوته عن ضمير أمته.

ويقدم الأديب التونسي رشيد الذواودي دراسة موجزة عن الشعر التونسي في عصر الشابي في الثلاثينات، وما بعد الشابي، مع سرد لبعض الشعراء المعاصرين للشابي ومن جاء بعدهم. وهي دراسة مكثفة أرى أنها في حاجة إلى الإطالة للإبانة عن المدارس الأدبية والمناهل الثقافية والخصائص الفنية للإبداع الشعري، لكن المؤلف أثر تقديم نماذج اختارها بعناية. ولعل اختيار النص الجيد كنموذج، عمل محير. قد يوفق المؤلف في اختياره وقد لا يوفق . لكننا نقر هنا بتوفيق الذواودي في اختيار النماذج الشعرية الجيدة، في الأغلب الأعم، مما يغني القارئ غير التونسي على وجه الخصوص، عن قراءة عشرات الدواوين التي قد لا يجدها متاحة، وهو في معرض الاطلاع على الشعر التونسي منذ فترة الثلاثينيات حتى الثمانينيات .

الستينيات، والصادق شرف في السبعينيات، وانكسرت حواجز العزلة عن طريق التراسل بين الأدباء، وهي جهود فردية تستحق الإشادة . كان الصادق شرف يبعث من تونس بدواوينه إلى أدباء في مصر وسوريا وغيرهما (3) . وبإصدارات سلسلة (الأخلاء) ، وكان همه الأول اطلاع الأدباء العرب على الحركة الأدبية في تونس ، ونجح في ذلك نجاحا ملحوظا، فيما فشلت فيه مؤسسات ثقافية كبيرة ! . كذلك أحب الذوايدي أن يكسر حواجز العزلة، فسعى جاهدا لعقد صلات ثقافية مع الأدباء العرب في مختلف الديار، اتصل برابطة الأدب الحديث بالقاهرة، والتقى برئيسها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وأمين عام الرابطة الدكتور عبد العزيز شرف، وألقى في الرابطة العديد من المحاضرات لالقاء الضوء والتعريف بالأدب التونسي.

وصدرت له في القاهرة ثلاثة كتب : (أحاديث في الأدب) وهي حوارات مع ثمانية أدباء مصريين وأديب مغربي. وكتاب (رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي) ، موضوع هذا المقال ، والثالث (أدباء من مصر) ضم دراسات عن أربعة عشر أديبا مصرية . علاوة على مؤلفاته الأدبية المتنوعة في تونس. كما شارك في ندوات ومؤتمرات أدبية في مصر وليبيا والمغرب، نذكر منها مشاركته في ندوة

من كتب الدراسات الأدبية، مثل كتاب زين العابدين السنوسي (الأدب التونسي في القرن الرابع عشر) في طبعته عامي 1979 و 1982 . وكتاب د . عمر بن سالم (مختارات لشعراء تونسيين) طبعة 1992 . وكان الأفضل اختيار القصائد من الدواوين الأصلية، وليس من كتب المختارات لمؤلفين آخرين، كما أن هناك قصائد لم يذكر مصادرها.

إن أزمة الأدباء التونسيين هي في الانفتاح على المشرق العربي، وكسر حواجز العزلة الثقافية، التي حددت الإقامة في حدود جغرافية ضيقة، رغم أننا أبناء عصر الأقمار الصناعية والإرسال المرئي عبر أطباق هوائية تستقبل قنوات العالم بأسره. فمازلنا نحن العرب لا نعلم الكثير عن الآداب العربية الأخرى، ففي مصر لا نعلم الكثير عن الأدب التونسي والسوداني والموريتاني والليبي، ربما نعرف اليسير عنه، مما يؤكد العزلة الثقافية، في الوقت الذي تعاني فيه دور النشر من كساد تجارة الكتاب الأدبي، لانجد تعاوننا ملحوظا بين دور النشر لتبادل الكتب وترويجها، وقد تكون هناك معوقات فوق طاقة أصحاب دور النشر...

وقد ذاع الشابي لانفتاحه على دول المشرق، وبالتحديد مصر، واتصاله بجماعة أبوللو، وحذا حذوه نورالدين صمود في

وطني في أغلبه واكب الحركة الوطنية، وسعيد أبي بكر الذي يشبهه المؤلف بحافظ إبراهيم في مصر، وقد تفاعل بأحداث عصره وتصدى للاستعمار، حاثا الشعب على الكفاح والثورة.

ومن شعراء هذا الجيل أيضا: محمد السعيد الخلصي ومصطفى خريف. وأهم ما يميز شعر هذه الفترة، الوقوف ضد ثيار الفرنسية أو التجنيس، والاعتزاز بتونس العربية المسلمة. وكانت إرادة الحياة التي بثها الشابي في قصائده، تيارا جارفا في ذلك الزمان، فقد ارتفعت أصوات شعرية تبث روح الإرادة في النفوس اليائسة، مبشرين بالغد الجديد لإنسان حر.

وبعد جيل الشابي جاء شعراء نوابغ، أمثال: محمد العروسي المطوي، متعدد المواهب، إذ كتب القصة والرواية والشعر، إلا أن شعره قليل، وله ديوان وطني بعنوان (فرحة الشعب) (3). كما حدثنا الذواذي عن محمد العربي صمادح ومحسن بن حميدة والشاذلي زوكار ومنور صمادح ونورالدين صمود وعمر السعيد الغريبي وجعفر ماجد والميداني بن صالح... وللأخير باع في الشعر الوطني، اتجه في بعض منه إلى رسم الشخصية كما في قصيدة (الخفافيش الصغار)، حيث رسم صورة شعرية ساخرة للخفافيش الصغار التي تعيث فسادا في المجتمع وتشوه صورته التي صنعها

مؤسسة الأهرام (نحو مشروع حضاري عربي) عام 1994، والندوة الدولية لإحياء الذكرى الألفية لأبي حيان التوحيدي، التي عقدها المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عام 1995.

ويعتبر كتاب الذواذي (رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي) محاولة مخلص من صاحبه لإلقاء الضوء على الحركة الشعرية في تونس، منذ ثلاثينيات هذا القرن حتى يومنا هذا. ويعد الكتاب مخولة ناجحة لكسر حاجز العزلة الثقافية، فقد صدر الكتاب في مصر عن الهيئة العامة للكتاب، فكانت خطوة رائدة، تنم عن إرادة شبابية، استلهم المؤلف روحها، لا ليقدم نفسه كباحث، وإنما أثر أن يكون مؤلفه ديوانا شعريا جامعا، فأصبح الكتاب مهرجانا للشعر التونسي. وقد اختار المؤلف لعنوان كتابه (رحلة) قاصدا بهذه الكلمة امتاع قارئه وهو يتجول في رياض الشعر، فيتنسم أنسامه الرقيقة، وتطيب نفسه بنغمات شعرية حلوة.

كما قصد المؤلف إلقاء الأضواء على الشعراء التونسيين، وكتابة نبذ مختصرة عن حياتهم الأدبية ودواوينهم، وأهم ما يميز إبداعاتهم. حدثنا الذواذي عن أصوات شعرية في جيل الشابي، أمثال: مصطفى آغة، الذي يتسم شعره بالذاتية والروح الفلسفية الساخرة، ومحمد الشاذلي خزندار، وشعره

أبطاله بالكفاح والمثابرة .. نقتطع منها (5) .
 كان تلميذاً غيبياً ،
 وكسولاً ، وشقيماً ،
 فترامته المعاهد
 وتلقته جحور للمفاسد ،
 والمقاهي ،
 ونداءات الملاحى

وفي المقابل يصف شعره في قصيدة
 (شعري ودعاة الفن) (6) :
 شعري : لهاث الكادحين على الدروب
 شعري : أهزج الشعوب
 من صارعوا الأمواج ، واقتحموا الخطوب
 من عبدوا الطرق المديدة في الجبال ،
 وفي الصحاري والسهوب
 وقد صادف محمد بن شريبه هوى في
 نفسي، إذ أوجعني وهو يصف حال الأديب، حين
 عبر عن ذاته تعبيراً صادقاً يشيع فيه الأسى
 لحجال الأديب، وأردد معه مقولته الموجهة
 (7):

ما هموم ذوى الآداب من فرج
 ولا تضاء دياجيهم بأقمار
 كما شدَّ انتباهي سعيد أبو بكر ببيتيه
 الساخرين (8):
 تأمل معي في الشرق والغرب إنني
 أرى ليلة ليلاً مزقها برق

إذا اتفقوا قمنا نصافح بعضنا
 ولولا اتفاق الغرب لم يتفق شرق
 وفي البيتين تهكم على حال الشرق في
 زمان الشاعر، التبع لمزاج الغرب وأهوانه. كأس
 مريرة تجرعناها ، وريشة حادة كالنصل تفتق
 الجلد، تكشف الداء المستشري في عضد
 الشرق.

أما الشاعر عمر السعيدى الغربى فيجمع
 بين إحساس الشايبى بالجمال ، ورومانسية
 ابراهيم ناجى يقول في قصيدته
 (ذكريات) (9):

كم تغنينا بألحان الغرام
 كم تعانقنا كأغصن الورد
 كم تبادلنا مناجاة الهيام
 كم سقانا الحب من نهر الخلود
 كم بنينا من أمانينا قصورا
 بين جنات من الأحلام عذبة
 كم قرضنا هاهنا شعرا مشيرا
 يطرب القلب ويجلى عنه كربه
 وتطالعنا أصوات شعرية معاصرة جدت
 في الصورة الفنية، وغلقت الخطاب الشعري
 بالرمز ، واستحدثت صياغة فنية تقتصر على
 رسم صورة فنية أو طرح تساؤلات، وتطرق
 الشعراء، إلى كنه الإنسان ودوره في عالمه،
 وأحزانه ، واغترابه. وإذا يواجه الشاعر متغيرات
 عصره وتناقضاته ومادياته ، يغترب الشاعر

ويتقلص دوره ويأتينا الشعر جنازتها مأساويا
سوداويا ..

يعرض رشيد الذواذي في مختاراته
الشعرية أصواتا شعرية : سويلمي بوجمعة ،
والطاهر الهسّامي، ويوسف رزوقة، وسوف
عبيد، والمنصف الوهايي، والهادي عبد الملك،
وعبد الله مالك القاسمي ، والصادق شرف ،
والبشير المشرقي، وهشام بوقمرة، وفاطمة
الدريدي، ومحجوب العياري ، وآدم فتحي
القاسمي... وبعض هذه الأصوات تمثل التيار
الحديث .. منها قصيدة (جنازة الوردة) ليوسف
رزوقة (10) :

وردة شيعت في الصباح جنازتها بالفتاء ،
لم تمّت يا صديقي كهاداتها في المساء ..

ملأت غابة المجرمين شذى

لم تكن في الحقيقة تخشى الأذى

رفعت رأسها

ثم ما لبثت أن تهاوت بكاء ..

بلغت قمة الصمت فافجرت ،

سكبت دمها في الشوارع وانتحرت ..

أيها الجهلة !

هل سألتكم من القتلة !

هل سألتكم من القتلة ؟

إن كل الجرائم محتملة !

إن كل الجرائم محتملة !

ونتوقف قليلا عند قصيدة موجعة لعبيد

الله مالك القاسمي : (نزف الغيوم إلى النهر) ،
تصف حال العرب في تفرقتهم وتشردهم، ربما
يفعل سياسة حققاء تهدر الإمكانية وتبذر بذور
الفتنة، ويأتي صوت الشاعر المأزوم بواقع
الحال، فيكتب قصيدته الزاخرة بأسئلة حائرة ،
يستهلها بقوله (11) :

لماذا حمام يطير

لماذا فضاء رصاص

لماذا دم البحر فوق الرمال يراق

لماذا قرنفل للعدو

رماح لكل الرفاق

ويكتفي القاسمي بطرح الأسئلة، ولا يبع،

كعادة شعراء اليوم، إذ يخشون الاسترسال حتى

لا يكتبون شي بالتقريرية، فهم يعمدون إلى

رسم الصورة الفنية، وتغليفها بالرمز،

واستدعاء التاريخ والتراث، وطرح التساؤلات،

تاركين القارئ يستمتع بالصورة الفنية

ويستشف منها رؤية الشاعر. والقاسمي في

قصيدته الحدائية، قد أوجعه واقع الحال مثلما

أوجع الشابي في زمانه، وآلمه تدني الواقع

مثلما آلم الشابي، لكن الشابي وجه الخطاب

الشعري المباشر إلى شعبه، أو قل الخطاب

الصريح، وطفق يشخص له العلل والأدواء ،

ويهوي بفأسه على جذور الفساد، أو هو قنّى أن

يفعل هذا (12) :

الهوامش:

1. مقال (كلمات عاشت في وجداني) لحسني سيد لبيب: (المجلة العربية) السعودية - أكتوبر 1982. صص 64. 66
2. قصيدة (إرادة الحياة) : الأعمال الكاملة. أبو القاسم الشابي. ج 1. ص 236
3. مقال (الرؤية الابداعية في شعر الصادق شرف) : حسني سيد لبيب. مجلة (الشعر) المصرية. أبريل 1995. صص 96. 101
4. مقال (الاتجاهات الأدبية عند محمد العروسي المطوي) لحسني سيد لبيب. مجلة (المعرفة) السورية. يونيو 1986. صص 187. 197
5. رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي: رشيد الذواوي القاهرة 1995. ص 133
6. المصدر السابق. ص 139
7. المصدر السابق. قصيدة (الأديب) ص 81
8. المصدر السابق. مقطوعة (إذا انفقوا ..) ص 90
9. المصدر السابق. ص 119
10. المصدر السابق ص 170
11. المصدر السابق ص 185
12. قصيدة (الني المجهول) : الأعمال الكاملة للشابي. تونس 1984 ج 1 ص 145
13. رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي : رشيد الذواوي ص 225
14. تحاكي هذه القصيدة في مضمونها ما كتبه حسني سيد لبيب في قصته (معاناة) [مجلة (الفصل) السعودية - أكتوبر 1989] فقادها معاناة قاص ونشره مجموعة قصصية لايجد من يشتريها، فيعرض على الفاكهي أن يعرضها مع الفواكه لعلها تباع ، وينجأ بالفاكهي يدس في يده مبلغا، إذ استطاع أن يلف الفواكه بأوراق المجموعة القصصية! ..
15. كتاب (رحلة في الشعر التونسي) ص 35.

أيها الشعب ! ليتني كنت خطابا

فأهوى على الجذوع بفأسي!

لعله بهذا يوقظ الراقدين المستضعفين.

وفي مختارات الذواوي مواقع ومواجد

أخرى . وهاك محجوب العياري يعرض

بضاعته الشعرية (1) في السوق البلدي،

ويعد انقضاء النهار يعرض على تاجر أن يأخذ

كتبه يلف بها الشاي ويعطيه بدلا منها تبغا

وهي صورة انهزامية سطرها في قصيدته

(شاعر) قد لا نوافقه عليها (13) . وان

حاجني ناقد بأنها صورة رمزية تعبر عن معاناة

شاعر (14) .

الرحلة الشعرية مع صاحبها الذواوي ممتعة

وطويلة، في صحبة فرسان الإبداع الشعري

التونسيين الذين جاؤوا بعبد أبي القاسم

الشابي، وكانوا . على حد قول رشيد الذواوي .

تتوجعا للأغاط الشعرية الحديثة التي أدت إلى

التشكيل الجديد كما يقول عنهم : «إن بعضهم

تحقق على يديه مالم يتحقق لغيره من الشعراء

في المرحلة السابقة.. وبعضهم أتخف الناس

ببذور الثورة والتمرد .. وآخرون تأثروا

بالشابي، فقاموا بتحطيم القيود التي كبلت

الشعر والشاعر .. ومارس بعضهم التجربة

الشعرية التي في أعماق الواقع الملتهم

بتطلعات الجماهير» (15) .

السياحة الثقافية

الواقع والآفاق

بقلم : الأزهر النفطي

بعمليات البحث والتنقيب والصيانة والتعهد والاحياء والتشجيع على استثمار مخزون إرثنا الثقافي في خدمة وإثراء المنتج السياحي لإدراكها بأن المجتمع التونسي يخترن في أعماقه إرثا ثقافيا متنوعا ساهمت في خلقه حضارات انسانية متعدّدة تعاقبت على بلادنا كان للتونسي الدور الفاعل والحاسم في صياغتها والتعايش معها بعقلانية معتدلة وتسامح مسؤول هو اليوم يمثل بكل امتياز عصارة الثقافات الانسانية التي عرفت بها بلادنا كالثقافة الفينيقية والثقافة البيزنطية والثقافة الرومانية والثقافة العربية الاسلامية والثقافة الأوروبية الحديثة مما أهل تونس أن تكون بلا منازع منارة ثقافية وسياحية تشع بعملها الثقافي ومنتوجها السياحي شرقا وغربا بما يبرز أهمية مخزون الموروث الثقافي الذي تحول برعاية رئاسية موصولة إلى عنصر تكامل من عناصر المنتج السياحي وآلية محورية من آليات التنمية والتأهيل الشامل . ولتفعيل هذا المشروع الحضاري الثقافي التنموي ودعمه

« ونحن نعمل على توفير السند الثقافي لإبراز كيان المواطن التونسي المعاصر في نطاق الالتزام بقيم المجتمع المدني ومقومات شعبنا الروحية واللغوية والتاريخية »

الرئيس زين العابدين بن علي
قرطاج 27 . 10 . 1992

ترتكز العلاقة العضوية التي تربط بين العمل الثقافي والمنتج السياحي على ثوابت تاريخية موصولة إلى ثلاثة آلاف سنة (3000) من الحضور الانساني على اديم أرضنا الطيبة . وقد أثبتت الحفريات والأبحاث الجارية بالتعاون بين المعهد الوطني للتراث والبعثات الأجنبية العلمية لإحياء المواقع والمعالم ذات الملامح التاريخية والأثرية وجود الإنسان على هذه الأرض منذ خمسين ألف سنة خلت (50000 سنة) .

ولقد أدركت دولة التعبير الوظيفة المحورية للسياحة الثقافية من خلال رعايتها الفاتقة وعنايتها الموصولة بمخزون موروثنا الثقافي برصد أكثر من مليون دينار سنويا للقيام

متحف شمتو بجندوبة الذي بلغت تكلفته إحيائه مليون دينار تمّ صرفها مناصفة بين تونس وألمانيا ، ومتحف المهدية ومتحف الأزيا .
التقليدية بمدينة المنستير ومتحف الصحراء بدوز .

وهناك مشروع لإحياء مدينة تستور يقوم به المعهد الوطني للتراث بالتعاون مع السلط الإسبانية سيدخل طور الانجاز والتنفيذ في غضون السنة الجارية ، وقد وقع معرض حول التراث الأندلسي أقسم بالعديد من مدن الجمهورية وحقق نجاحا مشهودا بالعاصمة والقيروان وصفاقس وقابس ... وضمّ خمسين لوحة تبرز مظاهر التراث الأندلسي بالبلاد التونسية من حضارة وري ورخف معماري ...
وقد امتدت العناية الرئاسية الموصولة بالمواقع الأثرية والتاريخية لتشمل العديد من المعالم الدينية كمقام سيدي أبو لبابة الأنصاري بقابس وسيدي محرز ابن خلف بالعاصمة وسيدي علي عزوز وزاوية سيدي الطايح بمدينة زغوان ...

ولإدماج التراث في مسار الإقلاع التنموي والتأهيل الشامل والعمل على خلق مكانة له في صلب مكونات المنتج السياحي لتقريبه من السائح الأجنبي بعث مشروع انارة المعالم الأثرية بطريقة علمية لتجميل المدن ذات الطابع التاريخي لإبراز خصائص معمارية معينة من

بالآليات الميسرة لعمليات الحفريات والبحث والصيانة والإحياء بعثت الوكالة الوطنية لإحياء واستغلال التراث في شهر فيفري من سنة 1988 وقد تغير إسمها في سنة 1997 لتصبح الوكالة الوطنية لإحياء التراث والتنمية الثقافية تقوم وظيفتها الأساسية على معاضدة جهود المعهد الوطني للآثار والفنون الذي أصبح منذ سنة 1993 يسمى بالمعهد الوطني للتراث وبالتعاون بين المؤسستين المذكورتين وقع إحياء أربع (4) منتزهات أثرية ضمن مشروع رئاسي رائد وهي : منتزه قرطاج ، منتزه دقة ، منتزه سببلة ، ومنتزه أودنة . وهي أقطاب أثرية تاريخية كبرى إذ تعتبر مادة خام في إثراء ودعم مكونات منتج السياحة الثقافية في المستقبل وقد تطلبت عمليات إحيائها تمويلات ضخمة منها مبلغ مليون دينار صرف حتى الآن في عملية إحياء منتزه أودنة حيث تقع عمليات الرفع الطبوغرافي والجغرافي بواسطة الإعلامية بمشاركة بعثات علمية إيطالية وفرنسية لتحديد مواقع ومعالم هذا القطب الثقافي السياحي العملاق وستواصل عملية الإحياء لسنوات أخرى بسبب ضخامة هذا الموقع الأثري التاريخي .
إلى جانب المنتزهات المذكورة توجد ببلادنا أربعة متاحف تاريخية تدعم العناصر التكوينية لثروتنا الأثرية وهي :

ليصل إلى 8354 أي بزيادة 52 / .

والملاحظ أن هناك مشروعا ضخما يستقطب أشغال فرق البحث بالمعهد الوطني للتراث ويتمثل في اعداد خارطة بيانية تمسح المواقع والمعالم الأثرية بكامل جهات الجمهورية بالإعتماد على أرشيف السلطة الفرنسية في عهد الحماية وماتضمن من خرائط بيانية للبلاد التونسية .

وقد تمكن الباحثون من إنجاز 30 / من المشروع وستواصل عملية المسح لسنوات أخرى بتتبع دقيق للخرائط البيانية المتاحة بمقاس علمي لكل 500 متر على الأرض يقابلها معدل ستمتر واحد على الخارطة .

كما قام المعهد الوطني للتراث بالتعاون مع الوكالة الوطنية لإحياء التراث والتنمية الثقافية برسم خارطة علمية موحدة تضبط مواقع 61 معلما أثريا موزعة على كامل جهات الجمهورية ومسجلة بقائمة المعالم التاريخية العالمية هي اليوم على ذمة الباحثين والمولعين بالتراث لاستغلالها على جهاز الإعلامية بواسطة استعمال الأقراص المضغوطة .

على هذا النحو ، تولي دولة التفسير أهمية كبرى للمدن والجهات ذات الطابع التاريخي والثقافي حيث تعمل على إشعاعها والتعريف بمنتجاتها الثقافي وطنيا ودوليا من خلال ضبط استراتيجية كاملة تقوم على ثلاث مراحل :

خلال إثارة ديناميكية متحركة تنجز بالتعاون مع شركة الكهرباء الفرنسية حيث تمت حتى اليوم إثارة قباب جامع سيدي محرز بالعاصمة وصومعة وقباب جامع عقبة بالقيروان وصومعة الجامع الكبير بقفصة ومواقع قرطاج وسيبطة. ولتقديم منتج السياحة الثقافية كمادة واضحة المعالم للسائح الأجنبي هناك خطة وطنية لتطويرها وإدماجها في صلب الدورة الاقتصادية والتنموية للبلاد تشارك في إعدادها هيكل حكومية ومؤسسات وطنية تسعى جميعها إلى تقريب التراث من السائح الأجنبي المولع بمعاينة مخزون الموروث الثقافي كوزارة الثقافة والمعهد الوطني للتراث والوكالة الوطنية لإحياء التراث والتنمية الثقافية ووزارة السياحة والصناعات التقليدية والديوان الوطني للسياحة ووزارة البيئة والتجهيزات الترابية ...

وتتمثل هذه الخطة الوطنية في تمكين السائح الأجنبي من مشاهدة الخرائط والصور والأمثلة العمرانية والمادة العلمية : « كتب وأدلة » المتوفرة بالمواقع الأثرية والتاريخية بعدة لغات كي يتمكن من الإطلاع بكل حرية على المعالم التاريخية في غياب الدليل المرافق . وقد سجلت هيكل الإستقبال بالمواقع والمعالم الأثرية زيارة 5506 سائحا يابانيا في سنة 1997 وفي سنة 1988 تضاعف عددهم

. سنة 1995 : 2.154.000 زائرا بمداخليل
جمليّة قدرّت بـ 6.058002.500
. سنة 1996 : 2.267.365 زائرا بمداخليل
جمليّة قدرّت بـ 7.309.182.835
. سنة 1997 : 2.385.000 زائرا بمداخليل
جمليّة قدرّت بـ 7.992.828.710
. سنة 1998 : 2.539.596 زائرا بمداخليل
جمليّة قدرّت بـ 8.083.255.040
نما كُون المجموع الجملي لمداخليل ستّ (6)
سنوات بـ 39.403.269.085 .

والملاحظ أن المواطن التونسي يتمتّع بالزيارة
المجانية لموروثنا التاريخي والأثري بمعدل 26
يوما في السنة وبالتحديد أيام الأحد الأخير من
أشهر السنة وخلال العطل والأعياد الرسميّة
وكذلك اليوم العالمي للمعالم والمتاحف الموافق
ليوم 18 أفريل من كلّ سنة واليوم الأخير من
شهر التراث المتزامن مع 18 ماي سنويا كما
تستقبل كنوزنا التاريخيّة والأثريّة بصفة
مجانبة المؤسسات الترويّة والفود الشباية
والباحثين في التّاريخ والآثار وأبناء جاليتنا
بالخارج على مدار السنة . علما أنّ هذه الجالية
تتكوّن من 23.800 أسرة مهاجرة تحتضن
114.500 شابا .

وقد سجّلت هياكل الإستقبال بالمواقع
والمعالم الأثريّة والتّاريخيّة عدد الزوار الشباب
التلميذي والكشافة والمصانف والجولان ودور

أ. مرحلة قصيرة المدى : وتشمل المناطق
الأثريّة الواضحة المعالم كقرطاج والجم وسوسة
والنستير والمهديّة ودقّة وسببيلة بلأريجيا
ومكثّر وتكرونة والقيروان وزغوان ...

ب. مرحلة متوسطة المدى : وتشمل القرى
الجبليّة والقصور الصّحراويّة

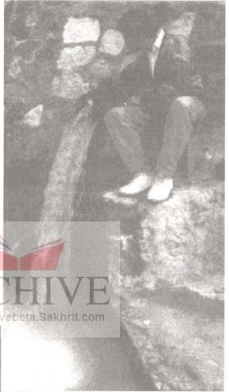
ج. مرحلة طويلة المدى : وتشمل مدينة تستور
التي تزخر بمعالمها الأثريّة وبملاحمها الأندلسيّة
وبحرفها التقليديّة وبشقاقتها الموسيقية
« المألوف » وبمواقعها الترفيهيّة « غار كرين » .

وللمساهمة في تأهيل القطاع السياحي
ودعم قدراته على كسب رهان المنافسة العالميّة
والمشاركة في دعم ثورة الاقلاص والتنمية
الاقتصاديّة في ظلّ التحوّلات الجذريّة
المتسارعة التي تفرض سيادتها على عالمنا
المعاصر تحرص دولة العهد الجديد على إبراز
خصائص السياحة الثقافيّة بغسح المجال أمام
الزوّار التونسيين والأجانب لمعاينة ملامح
ومقومات كنوزنا الأثريّة والتّاريخيّة حيث شهد
منتوج السياحة الثقافيّة قفزة نوعيّة على
مستوى التسويق والترويج والاقبال في
السّنوات الأخيرة بتسجيل :

. سنة 1993 : 2.312.000 زائرا بمداخليل
قدرّت بـ 4.360 مليون دينار
. سنة 1994 : 2.404.882 زائرا بمداخليل
جمليّة قدرّت بـ 5.6 مليون دينار

- الشباب والثقافة والوفود الأجنبية :
- سنة 1994 : 328.022 زائرا
- سنة 1995 : 246.773 زائرا
- سنة 1996 : 286.945 زائرا
- سنة 1997 : 259.344 زائرا
- سنة 1998 : 267.074 زائرا

وهكذا ندرك أبعاد النظرة المتبصرة للإرادة السياسية التي وضعت مجال السياحة الثقافية ضمن استراتيجية النهوض بالمنتوج السياحي بتوفير الآليات والتشريعات والحوافز المشجعة على إحياء التراث وإدماجه في الدورة الاقتصادية لبلادنا لتحتل السياحة موقعها المتقدم في تونس التغيير .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



الذوادي يصدر كتابا في القاهرة عن الدكتور خفاجي

بقلم : محمد الصادق عبد اللطيف

ومغربا فانه يحظى بالحضور العربي لدى النخبة
المفكرة في مختلف مجالات الإبداع والتقدير
لانه رجل أعطى للثقافة العربية المعاصرة زادا
متنوعا متعدد الجوانب بين الدراسة والتحقيق
والإشراف الأكاديمي والإبداع الأدبي (شعرا).

للرجل حاليا خمسمائة كتاب مطبوع منها
ماكتب عن الاسلام وما كتب عن النقد وماكتب
عن الأدب والتاريخ واللغة وتفسير القرآن (إنه
من مؤسسي 1915 دكتور من الأزهر سنة
1946 وهو الآن رئيس رابطة الأدب الحديث في
القاهرة)

يشرف أدباء تونس اليوم أن يكتبوا عنه
ويكون لهم معه جدار فكري متعدد الجوانب
والمنطلقات بين التقديم والتعريف والدراسة
والحوار والتعاون، أيضا منهم.

1. الأدب الدبلوماسي الشاذلي زوكار عرفه في
القاهرة لما كان طالبا بجامعة تونس ثم في السفارة
التونسية لما كان مكلفا بمهمة هناك .

2. أبو القاسم محمد كرو له صلة فكرية خاصة
به ولعله هو الذي شجعه على جمع شعر

الأديب رشيد الذوادي متعدد الإنتاج
كثيرة ، عرف في الساحة الفكرية بالحضور
والمشاركة، وكتبه المنشورة محليا وعربيا تضع
الرجل في سربه من جيله، وقل أن لا تمر سنة أو
بعض السنة دون أن تكون له مشاركة، وإنتاج
مكتوب، وفي هذا السياق ورد علي من رابطة
الأدب الحديث بالقاهرة ورئيسها الدكتور محمد
عبد المنعم خفاجي كتاب صدر هناك بعنوان
(الخفاجي .. أدبيا .. وناقدا) في 72 صفحة
وفيه قراءات متعددة عن الرجل ومكانة إنتاجه
وحضوره .

لماذا هذا التميز يا ترى !

مما عرف عن الخفاجي أنه ملم بتبّارات
الفكر في تونس ويعرف رجالات الثقافة والأدب
فيها ومطلع على أهم المعرفة التونسية:
المخطوطة والمطبوعة بل ويكتب أحيانا عن
أعلام خاصة ابن خلدون ومحمد الحضرنا الحسين
والشاذلي الذي تعود به إلى الثلاثينيات
بواسطة الدكتور صديقه أبو شادي .

بإتساع دائرته المعرفية والعلاقاتية مشرقا

القاهرة يحمل العناوين التالية :

. مؤثرات وتأثيرات

. الخفاجي وصفحات من حياته

. الخفاجي وتونس

. الخفاجي الأديب

. الجديد في فكر الخفاجي ماذا أضاف الخفاجي

في الفكر والأدب

. جاحظ القرن العشرين .. سيرته ذاتية

. قصائد .. دراسات

في كل نقطة يتوقف بنا الذوادي محللاً

سيرة الرجل ومكانته في جيل الأديباء

والمفكرين المعاصرين، علاقته لرجال الثقافة

والمشرقيين وما أعطى للفكر العربي من إنتاج

نعنت ونفاخر غيرنا به .

لما نتوقف ونقرأ بعمق مسيرة الرجل من

خلال تحليل الذوادي باعتباره عاشره عن قرب

واستمع منه خفاياه الأدبية وتكوينه الفكري

وتطلعاته الذاتية ومبادئه التي عمل على طبع

في انتاجه الفكري وخاصة الجانب الأدبي ندر

ما يتمتع به الخفاجي من قدرات ذاتية وملكات

أدبية وحساً علمياً وهو ما عمل الذوادي أن

يقدمه للقارئ في هذا الكتاب ومزيّة الكتاب

أنه لخص حياة الخفاجي الأدبية بصدق

وموضوعية وأعطى صورة مجملّة عن خصائصه

الأدبية النقدية والجمالية لم ينشر هذا لو لم

يكن قلم الأديب الذوادي الذي رصد تلك

الشابي ونشره وبالتالي تجميع ديوان الشابي

ونشر دراسات عنه في المشرق العربي .

3 . رشيد الذوادي عرفه عن قرب لما كلف

بمهمة السفارة التونسية في القاهرة وكتبها

معا مقالات ونشرا كتابا مشتركا .

4 . الأديب البشير بن سلامة يصدر كتاب

(الخفاجي شاعرا) بكلمات رائعة نزلت الرجل

في مكانته باعتباره ظاهرة فريدة في تاريخ

الثقافة العربية وقد تعرّف عليه هنا في تونس

على هامش مهرجان الشابي.

5 . محمد الصادق عبد اللطيف أجرى معه

لقاء فكرياً جاس به في أعماق الرجل ومطلقاته

وتجاربه وآرائه (نشر اللقاء بمجلة الفيصل

السعودية جانفي 98) . وقد وصلني أخيراً

أربعة كتب من القاهرة هي .

1 . عاشق المعرفة لأحمد فتحي عامر

2 . الخفاجي شاعرا لحسن سيّد لبّيب (تقديم

الأديب التونسي البشير لابن سلامة

3 . مهرجان نادي القصيد لفهمي أحمد عبد

السلام

هذا الكتاب سبقته علاقة شخصية أدبية

بين الكاتب وخفاجي حيث طرحا عدبد القضايا

الأدبية وتسامرا معا وحاضرا معا وعرف

الواحد من الآخر خفايا ذاتية قلّ أن يتوصّل

إليها الدارسون مهما تخصصوا في التراجم

الذاتية، وكتاب الذوادي صدر سنة 1997 في

(اعلام ، كتب ، مجلات ، دوريات ، أقلام، صحف) ويقدر إعجابي بنشاط الذواذي وطموحه الأدبي عن السمو بالأدب التونسي والتعريف به أكثر، مشرقا ومغربا، فائي أمل أن تجمع الحوارات في كتاب سيكون - دون ريب - صورة صادقة لفترة تاريخية معينة في نضالنا الأدبي وفضل جيلنا على نحت هذا الواقع المتميز في الساحة الابداعية في الوطن العربي وتونس على الخصوص .

الحقائق أولا عن قرب لما عاشه في القاهرة وألف معه بعض الانتاج وحاضر في حضرته في رابطة الأدب الحديث وثانيا عن طريق دراسة آثاره والاعجاب به وثالثا لما زار الخفاجي تونس مشاركا في ذكرى أبي القاسم الشابي ، ونستطيع القول بأن الخفاجي يمثل هذه العلاقات يعرف تونس ثقافيا جيدا بل وفي كسر العقدة الشرقية تجاه الأدب المغربي ككل وأدبائه، وتونس وخصائصها الثقافية



في الأعداد القادمة

- مظاهر العقلانية في فكر الحداد
- فتحي أولاد بوهدة
- على هامش جائزة «مفدي زكريا» الغاربية.....أنيسة دحماني
- روى العالم :الفن والدين كنموذجين.....سمير الذهبي الجمل
- بنية الوعي الطبقي في الصورتين :
- الواقعية والحلمية.....أسامة غانم
- هل هناك نزاع بين الموسوعية والتخصص ؟! بقلم : د خالد أحمد المشهداني
- «تهاوي الذات» قراءة في جدارة محمود درويش علي الطرهبوني
- الشعر ضد الكهنة : مدخل إلى «أجراس الورد» ميلاد فائزة

الأديب البشير التلمودي

ثلاثون سنة من القص

ثلاثون سنة من رؤية العالم بعيني طفل ..

بقلم : محمد آيت ميهوب

1. تقديم النصوص :

تمتد الفترة الزمنية التي تتوزع بينها هذه الأوراق بين الستينات والتسعينات . فأقدم هذه النصوص يرجع إلى سنة 1964 (المعذبون في الحب) وأحدثها يعود إلى ماي 1994 (الخيال والصورة) وهذه النصوص منشورة في الصحف والمجلات وأهمها : العمل ، بلادي ، الفكر ، الحرية ، الصباح ، الصحافة ، والأنحاف وهي متنوعة الإتساء الأدبي وإن كانت كلها على صلة بالقصة ونحن ننتج في تصنيفها تصنيف المؤلف نفسه ونجد أنواعا أربعة :

القصة القصيرة : منتشرة في أغلب مراحل المؤلف

القصة الحوارية : في النصوص التي بين أيدينا نجد لها نموذجين يعودان إلى بدايات المؤلف .

قصة قصيرة جدا : بدايات المؤلف

الومضة : طغت على كتابات المؤلف في الفترة الأخيرة .

إلا أن هذا الاختلاف في التسمية لم يواكبه

هدفنا الأول في هذه الدراسة هو استنطاق أهم النصوص القصصية التي نشرها الأستاذ الكاتب البشير التلمودي عبر ثلاثين سنة بأمهات الصحف والمجلات التونسية . وهذه الدراسة وهي ترحل من عقد إلى عقد تحاول أن تجلو علاقة النص الأدبي بالزمن : هل هي تطوّر أم ثبات ؟ وهل هي استحالة أو إقرار ؟ وما أن من المحال قول كل شيء ، فيقتد أخذت هذه الدراسة على نفسها الاهتمام بأساليب سبك الخطاب لأحاييل الخبر ، متأنية في النظر إلى حالات السرد والوصف والحوار عموديا في دراسة كل شكل على حدة وأفقيا في البحث عن العلائق ، بين هذه الأشكال فيما بينها من جهة وعلاقتها بقص الحكاية من جهة أخرى ، باحثة في كل ذلك عن مدى تأثير الزمن في الطفل المختفي خلف السارد : هل أصبح كهلا عاقلا ، أم زادت الثلاثون سنة من الحكيم إغلا في اخضرار الطفولة ؟؟

-إعلامي: تقديم معلومات عن الشخصيات غير متوفرة في الحاضر .

والراوي في كل ذلك ، راو لهم بدواخل الشخصيات ، قادر على فهمهم ، أحيانا يجمالهم وأخرى يعفو عنهم ويعذر « هذه هي المرة الأولى التي بكى فيها ، لقد كان حساسا يتألم لأبسط الحوادث ولكنه حين يشعر بالحزن ، يكتئب لوعته ويبكي في صمت وبلا دموع » .
(الطفل والعروس) « وكان الشاب قد فهم ما يدور بخاطرها فقرر أن يصل معها إلى نهاية الطريق .. قريبا زادت المغامرة عناصر جديدة تزيد في خصوصية دراسته الإجتماعية ... »
(موعد مع الغد)

وفي القصة الحوارية ، يغيب الراوي ليعترك للشخصيات دور السرد والحكاية فيقومان بالدور نفسه الذي كان مضطلعا به . والقصتان الحواريتان (الحوار بالأظافر) و (العبوات الناسفة) يدور حوارهما بين حبيبين (هو وهي) ، كلاهما عارف بدخيلة الآخر ودخيلة نفسه . فالحوار هنا أقرب إلى المحاكمة منه إلى المكاشفة والمعرفة . فالمعرفة ما قبلية ، مطمأن إليها .

وهذا المبدأ الفكري ، موجود أيضا مع عالم الحيوان وذلك في ما سناه المؤلف بـ « القصة القصيرة جدا » ولدينا لها نموذجان « الذئب يعلن إفلاسه » و « المسألة المعلقة » : « فابتسم القط

اختلاف في البناء السرد القصصي . فإذا استثنينا شكل الومضة ، فإن بقية الأنواع متداخلة وهذا ما يجعلنا ندرسها باعتبارها نصا سرديا في المطلق .

2. الأشكال :

أ. السرد :

اضطلع السرد في أغلب هذه النصوص بوظيفته العادية وهي نقل الأحداث . وقد كان في الأغلب سردا خطيا يتدب من نقطة انطلاق ليصل في النهاية إلى نقطة وصول تنفرج فيها الأحداث ويرتخي الراوي .

فهو سرد غايته المعرفة وهدفه الاكتمال وهذا ما نجده في نصوص مثل « الفراق الأول » ، « نفوس ضائعة » ، « رسالة مفتوحة إلى معلم الحساب والعقاب » .
على أنه أثناء رحلة الراوي بين هذين النقطتين ، يحدث أحيانا أن يتنوع السرد فنجد السرد الارتدادي حين يعود الراوي إلى الوراء كما في نص « الطفل والعروس » : « كان ذلك في الصائفة الماضية ، عندما جاء الغريب إلى المنزل ... » أو في « نفوس ضائعة » : « في ذلك اليوم ، كنت أترقب أحمد في حديقة « الورود » قرب النافورة ... كان اليوم ممطرا ... »

وقد اضطلع هذا النوع من السرد بدورين :
- تفسيري : تفسير الأحداث الراهنة بأصولها الماضية .

فهل يفسّر ذلك بنضج المؤلف وتقدمه في السنّ ممّا جعله يعي أكثر بخاصية التحول في الأشياء والمفاهيم ومتنّ علاقته أكثر بالزمن هذا الذي لا يبقى على حال ولا يكتمل له وجه وكأنه لا يبتدئ .

ب. الوصف :

ليس الوصف عنصرا مستقلا بذاته بل هو في خدمة الأحداث إذ تنعدم اللوحات الوصفية سواء للشخصيات أو للعالم الخارجي والدور الذي يخدمه الوصف هو التأطير للسرد أو تفسير فعل الشخصية .

«التأطير» : «قالت ذلك وتقدّمت من النافذة المطلة على الجبل المغطى بالأعشاب والأشجار والزهر، فإذا بها تتذكّر قصّة لقائهما مع شفيق» تفسير فعل الشخصية : «وعرف أنه شعور غريب هذا الذي يسري في عروقه فيبعث فيه موجات من الحنين إلى رؤياها» . (لذة الشوق) وسجّلات الوصف مشدودة إلى العالم الواقعي الأليف إلى الذات الراوية . وربما هذه الألفة هي التي تفسّر عدم احتفال الراوي بوصف الأشياء واستقصاء عوالمها فيكفيه أن يسمّيها : «كان ذلك في إحدى نوادي الشباب، ملتقى المعجبين بالموسيقى الغربية المجنونة من مختلف الطبقات» . (موعد مع الغد) «لقد قبع في الشباك المظلل على «الدربة» يراقب الداخل والخارج» (الطفل والعروس)

ساخرا وقفز يريد الفتك بالفأر وقال. « » ولما عرف القط أن الكلب متشبّث بالحقّد والعداوة ، عاد خانبا إلى الداخل »

لكن مع النصوص التي سماها مؤلفها «بالومضة» فإنّ هذا القانون السّردي يتحوّل من الانغلاق والمعرفة التامة إلى الانفتاح والتساؤل والشكّ . فهذه النصوص أقرب إلى التأمّلات في ما يحدث منها إلى الإخبار بما حدث ، وهي آخر النصوص التي كتب المؤلف والرابط فيما بينها التأمّل والبحث في مسائل مجرّدة : الزمن ، الخلود ، الحقيقة ، الحبّ ... وقد كان الضمير السارد فيها هو «الأنا» الراوي وموضوع السرد هو «الأنا» أيضا . وهذا السرد مخصوص بميزتين :

كثرة الاستفهام : «فقد بات وصفي يميل إلى التأرجح والانحدار إلى الأسفل أكثر من أيّ وقت مضى ، ترى ما الذي يمكن أن ينتظر من هذا الوضع الغريب ؟ وكيف يمكن لي أن أواجه بقية فصول هذه التجربة وكل الأدلة التي أحياها والتي أتكهّن بها تنبئ بصعوبات المصير ؟ » (الشكل الجديد)

كثرة أفعال التغير والتحول : « في القديم مثلا لم أكن أفكر في الغير » (انهيار الوهم) «إن حياتي القادمة، قائمة على مفاهيم مخالفة تماما لتقاليدي القديمة» (الموعد الغريب)

الموضوع الوحيد الذي يستغرق فيه الوصف ويرتبط كثيرا بالمجاز هو المرأة إذ يتحوّل الوصف إلى خلق لصورة متكاملة ، متداخلة العناصر . والكاتب ينتقي من المرأة وجهها وشعرها متحاشيا بقية الجسد :

« شعرك ... هل تركته ينسدل كشلال حريري على كتفك ! آه ! لوتعرفين كم أحب تلك السنايل الناعمة »

« شفتاك كقطعتي مرجان أحمر، كورقتي وردة ربيعّة فواحة ... » (لذة الشوق)

ج- الحوار :

يحتلّ الحوار حيزًا هامًا في هذه النصوص وبالإضافة إلى القصتين اللتين بنيتا أساسا على الحوار فإن كل النصّون تفرد له جانبًا هامًا إلى درجة أن السرد ينقطع لفترة طويلة فيثبت الزمن ويفعل الكلام فعله .

وقد اتخذ الحوار في أغلب النصوص ، من حيث القائمون به شكلين فهو إمّا أن يكون ثنائيًا أو فرديًا بين الذات ونفسها وقد طعن الحوار الثنائي في النصوص الأولى خاصّة وله موضوعان أساسيان :

الحياة اليوميّة : وأغلب أطراف الحوار : الأب . الأم / الأب . الآين / الزوج . الزوجة

وعادة ما يستعمل الكاتب في هذا الحوار ، العامية مزيد ارتباط بالواقع والإبهام به :
- فسألته : « زينا » ما رأيك ؟

فأش ؟ ...

في الكلب ...

باهي ... أش باش نقلك ! ...

أش بيه ... ما عجبكش ؟

بالله ... فين باش نحطوه ؟

(رسالة مفتوحة إلى عنبر)

« فتألم وصعد السلم وجلس على الحشية :

قالت تسأله : وين كنت لتوه ؟ »

أجابها « بهذا حمد »

قوم اغسل أطرافك ؟ تحب تتعشى ؟

ما عنيش »

العلاقة العاطفيّة : يكون الحوار هنا بين حبيبين قطعًا في الحياة شوطًا كبيرًا فيكون حديثهما في علاقتهما أقرب إلى التقسيم والمحاكمة وقد أخذ الحوار في هذا الموضوع طابعًا ركيحيًا مسرحيًا وقد تجلّى ذلك خاصّة في القصتين الحواريتين وفي هذا النوع من الحوار يستعمل الكاتب الفصحى .

الحوار الذاتي : شاع هذا الحوار في النصوص الأخيرة و « الومضات » خاصّة . على أن ذلك لا يعني انعدامه في النصوص الأخرى . بل الفارق هو أن الحوار الذاتي (المونولوج) في نصوص الكاتب الأولى ، كان يقدم عبر وساطة السارد .

« وفجأة ! ... أوقفت تيار تفكيرها الجارف ونظرت إلى الشباب نظرات ملؤها الحقد

والتأمل المستقصي غير المطمئن .
 « ترى ما الذي يمكن أن يحدث خارج الزنزانة ؟
 لم أعد أعرف شيئا مذ دخلت إلى هنا ... لم
 أعد أفهم شيئا ... » (زنزانة الحيرة)
 « بحثت عن شيء أتلهى به .. فلم أجد . ربما
 لضيق المجال وانسداد الآفاق وتشابه الموجودات
 .. وربما أيضا لاستحالة إرضاء أهواني المتغيرة
 دوما » (السجن الآخر) إن التطور في شكل
 الحوار يدفعنا إلى البحث عن التطور في
 المضمون إذ اقترب أكثر من التأمل والرّمز .

والسخرية . هذا الشاب الثقيل الذي جاء إلى
 هناك كالصخرة الباردة ... إنها ستشور عليه
 وعلى نظرياته وأرائه التي عكّرت عليها صفو
 روحها ونشوتها والتي ذكّرتها بفشلها في
 دراستها .. » (موعد مع الغد) .

بينما في نصوص « الومضات » فهومن
 نسيج السرد نفسه والراوي هو نفسه الذي
 يتحدث إلى ذاته والموضوع هو عالم الأفكار
 والحقائق المجردة .

وحركة هذا الحوار دائرية لا تصل إلى حلّ
 أو نهاية فهي من طبيعة البحث الفلسفي



إلى أن تمضي

شعر : محجوب العياري

فهل قد خلقنا لنسري بصمت
 إلى أن نؤول إلى المقبرة
 وأم أن نعيش الحياة سكارى
 برعد ورعد من الأسلحة

أيا قوم هل مات فينا السؤال
 وهل نحن متنا مع الأسئلة
 نروح ونغدو ولانحن ندري
 إلى أين تمضي الأشرعة

دنيا محمود طرشونة

تفكيك لمكوّنات مثقف معطوب

بقلم : الصّحبي العلوي

منشدًا إلى تعرّف نتائج هذا الصّراع فإذا حركة القصّ مطاردة دائمة لعلّة هاربة أبداً تطلب فلا تدرك . فسفي كلّ مرّة يركن القارئ إلى الاطمئنان وتؤوب الحركة إلى السكون يظهر عنصر جديد يريك المسار الماضي فإذا الأمور ترتدّ حسب الرواية إلى « قذيفة وأنفجار كزّوس » تتطلب استدعاء أدوات أخرى لخوض معركة جديدة في فضاء يتميّز بـ « ضباب كثيف يغمّر المكان فتعسر الرؤية وتتشنّج الأعصاب ويختنق ويعجز عن النطق فينحبس الصوت في الصدور ... » دنيا ص 88 .

وعلى تلك الأجراس تعزّف « دنيا » سنفونياتها الحزينة فإذا طلبت الرواية وجدتها رومنتية تعجّ بالأحلام والآمال والخيال السّابع في أقاصي العصور وإذا قلبتها تكشف عن تقرير جاف لمجريات الأمور وأصناف العلاقات التي تنظم النّسيج الاجتماعي على أرض الواقع : داخل حظيرة وسط البنّانين أو إلى جانب محام في أخرج لحظات الشّغل ينتظر اتجاه الرياح كي يطلق أشرّعه غير عابئ بدمّة

« دنيا » رواية في ثمانية عشر فصلا تمسح 187 صفحة عن مطبعة الوفاء . ديسمبر أكتوبر 1993 تونس . مؤلفها رجل أدب من الجامعيين التونسيين الذين يساهمون في تكوين جيل من الباحثين في مغرب الوطن العربي إنه الأستاذ محمود طرشونة . وتدور أحداث الرواية حول جريمة اغتيال عامل بناء « حسين العياري » المحرك الأساسي للاضطراب المزمع تنفيذه . ولكن القضية حفظت في أروقة العدالة باعتبارها حادثة شغل مألوفة وبرغم اجتهد كل من ابن الضحية سامبوعشيقته نورا في إثبات الجريمة فإنّ جهودهما تبوء بالفشل أمام حنكة مسير الشركة « الهادي » وصاحب الشركة « سعيد » بمساعدة محامي الشركة « ماهر المكني » وتواطؤ الطبيب وخذلان العمّال وتدخل الأقدار أحيانا .

وقد حبكت خيوط القصّ جدليّة التنازّم والانفراج إذ بدت الرواية سباقا مشوكا بين ضدّين (المشكل والحلّ) ويعد ذلك من تقنيات القصّ الأساسيّة التي تجعل القارئ

يتواصل تفكيك ملامح هذا الكائن باعتباره
أميل إلى البهت سريع الانسحاب . يقول
الراوي على لسان «نورا» ص (51)

«..إني أنظر إليه صامتا منذ ساعة... الصمت
كبت وخيانة فلا بد من الكلام» وعندما يستمر
حضوره تمثالا تهون حبيبته أمره بأسلوب . تخفى
سخريته . «أنت فعلا ملاك» ص (53) في
عالم مدنس بهجرة اغتيال والده وخيانة العمال
الذين عادوا إثر دفته على لسان المؤلف «عاد
الحراف إلى الحاضرة» ص (50)

* المثقف مغبون في نظر الآخرين :

إن هذا الشخص الحالم الأخرس لسانا
لا يشير في الناس سوى العطف حيناً والراء
أحياناً أما إذا اقتضت الأحوال توهم خروجه عن
هذا الحد طلباً للمواجهة فإن «الهادي» مسير
الشركة هذه النكتة فيرد على «نورا» وكانت
هددته به متوهمة إياه أسدا وبركانا حان موعد
هيجانها .

..الهادي : بركان؟ أسد؟

ذلك الشاب التحيل الشاحب الوجه من
شدة الجوع أو من كثرة السهر تعتبره بركاناً
وأسداً ص (57) .

إن هذا الشاب يصوغ موقفاً قد يكون
أميناً لمنزلة المثقف عند الناس الذين تكلمت
في لاشعورهم مقاييس : المال قوام الخطوة
وتحقيق المتعة .

أو مع قمرقي لا يعرف حدود عمله فيوشوش
المسافر «ما أقيح المشول أمام أعوان
القمارق» ص 167 .

أما إذا وليت عن هاتين الزاويتين وتنكبت
عن الإجرائي . انزاحت أبتار القصص على أمور
اجتلت في نحتها مواد مختلفة المراجع من
السحر والخيال والأسطورة إلى العلم والتقنية
والعقل فترد كيمياء إنسانية تنأى عن العقل
طورا منصاعة للثمنانم والبخور والتسابع
وترفض الاشراق طورا آخر متبرجة لتشريع
العلم وتحقيق العقل . زبنيّة في ميوعها
لاتضبطها قوالب الفكر الجاهزة ولا تحدها
شعارات تسبح في فضاء الوهم الذي تساقط
أنصاره على أنغام الربيع أولاً والجنس
أولاً «الغرفة الزرقاء» .

وكل ما عدا ذينك يؤجل حتى حين .

على ضفاف هذه المعاني يقف بطل الرواية
«سامي» الذي من السهل اعتباره رمزاً لمثقف
في خضم الكتاب فماهي ملامح هذا المثقف من
خلال تجلياته في ثنايا القصص .

المثقف : عقل حالم وعزائم مهزومة

إن أول ما يبادرنا من شؤون البطل في
الصفحة (51) تقديم صاغه الراوي معركاً
ببطله ال «بري في بساطته واستكانته مهزوم
قبل خوض المعركة يلقي بالسلاح قبل استعماله
ويلتجئ إلى الشعر يسكب فيه لوعاته ثم

باشعبي... وعلى وتيرة هذا اليأس المفرع تقول «دنيا» في شبه نواح ينسخ المشهد حزنا تتقاطر عذابات على حروقات روح مكدودة تنن بين جوانح مشقف بلغ به العطب حدود التيه : **«ليس من الضروري أن تطيع الدواوين الشعرية فهي لا تروج ولا تحقق أرباحا عاجلة ولا فائدة من التشغيل .**

.... إنني أختنق في هذه البلاد أريد أن أهاجر من جديد . لكن هذه المرة إلى بلاد قصية حتى لاتصلني أخباركم» ص (180) خاتمة :

هكذا يبدو المثقف كوما من الخوف والحلم يتوس بين التوتر والميوعة مريكا إلى أقصى حدود معطوب في جميع جغرافيا الروح يلهث وراء هباء ... بل إنه في ختام الرواية يتراءى طلمس طريق تشرخ خواطر «نورا» ومن خلفها المؤلف . ولكن سرعان ما يتبخّر البريق على صورة المثقف «المتوقّر الآن» فترتد العبارة إلى هجوم مشحون بالهواجس . فنورا تتهم سامي بالاثناية لأنه استفرغ جهده موضوع شخصي في حين كان على المثقف أن يتحمل قضايا الجميع . تقول نورا : **«لو كان مطمحك حق الشغل للجميع والشقاء للجميع والعدالة للجميع لكان أنهل وأعسر»** ثم تستدرك « لكن طموحا كهذا يحتاج إلى تنظيم وأنت وحيد مثل كل المثقفين المازومين » ص (186) وعلى أنغام هذه القفلة تنفتح الرواية على جدل دائري لاقرار له بعيقه الاستدراك . لكن . وتؤزمه لعبة «ترتيب الكلام ونظم الذكيل »

فإذا رومنتسية الشهيد ترتد واقعية اندحار وصغار وإذا الواقع أضيق من أن يجد فيه هذا «المثقف العطوب» موطن قدم تحول دون فقدان توازن منشود . فسامي الشاعر على لسان الرواي «يعاني الكبت والقهر ولا يجد مورد رزق يقيه غائلة الأيام يجوب الشوارع باستمرار باحشا عن الشغل وبحشا عن ناشر ذكي يدرك قيمة الأشعار التي مافتى ينظمها كلما ضاقت به الدنيا...» ص (89)

*** المثقف : لا يصير على التجاوب :**

إنه يؤثر العافية على ركوب الصعاب ويرتاح إلى دفء المشاعر لا يتجاوزها إلى ميدان الفعل . يقول سامي في رسالة بعث بها إلى «نورا» من ايطاليا وقد ارتعدت فرائصه من اكتشاف مغامرات صديقه «عبد الحميد» في تهريب الأسلحة وبعد أن عزم على العودة دون محاولة الصمود والانخراط في عمل آخر بعيد عن المخاطرة . يكتب **«أنا رجل وديان وسباخ ولا طاقة لي بعديد البحار الشاسعة»** ص (142) وعندما تفشل تجربة هجرته الأولى ويفشل في جمع أشاتات شخصية متوازنة يتوسن ترتيبك حواسه ويرمي في عماية طلبا لرحمة الأقدار تتقبله في أرض قصبة لاصلة لها بأرضه . وكأننا بهذا التذمر المفضى إلى الانسحاب أمام غربة الشابي وقد ملأ شعبه صدره غيضا يعلن **«إنني ذاهب إلى القباب**

حوار مع الأستاذ :

حسن بن عبد الله

أجرى الحوار : محمد العائش القوتي

المختار الهادي ، محمد عمار شعابنية ، محمد العائش القوتي ، والمرحوم عامر بوترة ... وغيرهم .. ونشرت أولى قصائدي بالصفحة الأدبية لجريدة «بلادي» ثم مجلة «الفكر» ثم جريدة «الصدى» ثم «الإعلان» ومجلة «الثقافة العنصرية» وغيرها من الصحف والمجلات التونسية والعربية ونلت جائزة الشعر المغاربية الجاحظية بالجزائر الجمعية التي يرأسها الروائي والأديب الطاهر وطار وجائزة الشعر تحمل اسم الشاعر الكبير الجزائري المرحوم مفدي زكريا شاعر المغرب العربي الكبير وتسد كل سنة - ضمن مسابقة سنوية - منظمة للأوائل الثلاثة وينتظم الحفل بالجزائر العاصمة .

وشاركت في التظاهرات الثقافية والأدبية والفكرية كمهرجان الشعر العربي الحديث بالجزيرة والمهرجان الوطني للشعر بمدينة المتلوي ومهرجانان الصدى بقلبية ، ومرآة الوسط

الشاعر التونسي حسن بن عبد الله ابن القرية المنجمية «الرديف» ولد صيف سنة 1951 م ، أصدر مجموعته الشعرية الأولى «العزف على ضفاف الجرح» عن دار الاخلاء للنشر تونس ثم مجموعته الشعرية الثانية «تسايف» صدرت كذلك عن منشورات مجلة «الاخلاء» ، تونسي عضو باتحاد الكتاب التونسيين التقينا به بدار الثقافة بالمتلوي وكان هذا الحوار :

س : 1 - بدايتك الشعرية ؟

ج : 1 - كانت أولى محاولاتي الشعرية لا تخضع لأية مقاييس شعرية ، تردت فيها عن الضوابط الخليلية وعن علم العروض وهي بعنوان «فلسطين» ثم كانت المرحلة الثانية التي تأثرت فيها بالحركة الشعرية المنجمية «الشعر المنجمي» وأسماء أصدقائي الشعراء الذين قرأت لهم وتفاعلت مع كلماتهم وهم : أحمد



بمودة شعرية

حسن بن عبد الله

مكتبة بيتنا
للطباعة والنشر والتوزيع

بسيدي بوزيد وتحصّلت على الجوائز الأولى
ضمن مسابقات هذه المهرجانات .

س : 2- هل تكتب لشريحة معينة ؟

ج : 2- « العزف على ضفاف الجرح » أولى
مجموعتي الشعرية مشحونة بنغمات الواقع
المنجمي الحزين - وأما « تسابيح » وقصائدي
الأخرى الجديدة فهي تعبير إنساني يخترن
المجال الضيق ويعالج هموم الوطن والمواطن
التونسي والعربي حيثما كان في
الداموس (منجم الفسفاط) ، وفي الحقل
والمصنع إضافة إلى اقتناص بعض الصور
الشعرية من واقعنا اليومي ومن حالاتنا التي لا
نكاد نراها أو نعتني بها .

س : 3- ما الجديد لديك ؟

ج : 3- بعد مجموعتي الشعرية
الأولى « العزف على ضفاف الجرح » ومجموعتي
الشعرية الثانية « تسابيح » توقفت عن إصدار
مجموعات شعرية جديدة وذلك للتأمل في كلّ
ما كتبت وذلك من خلال ما يكتب وما يقال حول
تجربتي الشعرية إذ لا يمكنني التورط في
مواصلة المشوار وخاصة في مجال النشر لأنني
أريد أن أرتقي دائما بكتاباتي وأن أعالج بكل
ما أمتلك من أدوات فنية وإبداعية حتى أجسم
القصيدة الشعرية التي تكون في مستوى
القارئ العربي ، كما لا أخفي خيبة أمني في
مجال النشر وصعوباته المعقّدة بداية من الناشر

ثم غياب القارئ الذي يترتب عليه بقاء الكتب
الشعرية والقصصية والروائية والنقدية مكذّبة
في الرفوف ، ولهذا توخّيت طريقة جديدة في
إيصال القصيدة للقارئ بتنظيم معارض
(رسم و قصيد) ولقد وجدت هذه التجربة إقبالا
كبيرا في دور الثقافة والشباب والمراكز الثقافية
من طرف الجمهور وباركها العديد من
الملاحظين .

درة أنت

شعر : شكري معمر علي - الجزائر -

بكى الخريف واحمرت أوراقه
انفجر مطرا غزيرا
حمل مع الرياح
أناشيد الجراح
وتفاصيل الثورة القادمة

مع « الملائكة الصغار »

حمائم القدس تبكيك
وكل الطيور
كل الأحرار في الأرض
يحتفظون بقطرة من دمك
تمزج مع دماء

الضائعين ، المسالمين
لتنبعث فيهم روح النضال
ليستيقظوا من أحلام
« سلام الشجعان »
« سلام من فقدوا السلام »

درة أنت للزمن الخصب
المعشوشب بحشائش الشهادة
المفعم بشذى الجنان
وخضرة الفراديس

درة أنت يا محمد
في زمن الردة والخنوع
والبيانات العريضة
والخطب العصماء
ولقاء ات « النجوم »

آه يا محمد غابت عنا
النجوم
أظلمت السماء
وأنت الوحيد شُهبا
ضد الشياطين، الخاسئين

هذا المساء يا محمد

فسلام عليك يا محمد
في الخالدين
ولاسلام على «المطبّعين»
المطبّعين (1) بحناجر وسنان



هامش :

انتهت بمقهى الفرسان
يوم 11 - 10 - 2000

طبع الدابة : أذلها وراضها
المطبّعين : المروضين بقرة سلاح أمريكا
المرغمين على عقد اتفاقات السلام

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في الأعداد القادمة

وجدانيات شعر: شكر حاجم الصالحى
الطفل العربي شعر: محمد العائش القوتى
السندباد الأخير شعر: ناجى بن جئات
في ليالى الصمت شعر: شدرى معمر على
احتفاء النور والنار شعر: مفيدة البرغوثى
الهارب من جنته شعر: صفاء ذياب
لأرض تكشف عن ساقبها شعر: حسن نصار
رسالة إلى يارا نص: شدرى محمد على

عليك أن تقاوم

شعر: هشام حتيرة

الإهداء : إلى محمد الدرة وكلّ شهداء فلسطين

عليك أن تقاوم	وإن ضاع صبرك
عليك ما استطعت	عليك ما استطعت أن تكون راقيا
عليك أن تعد عدتك للصبر	تغالب هواك
أمامك إصرار	وجرحك المعفن
يروض الحياة	وتحفظ لحافك لجلدك المطرز
يعيقك جدار مارد البناء	بالخائر والحزن
أمامك بحار	عليك ما بقيت
تلزمك عصاك	أن تضرم الحريق
إضرب بها القتام	وأن تكون قادرا على الاحتراق
واتركها رهوا صروفه ومر	«إما انتصار
مر عابرا	وإما فناء»
جداول العناء	لك كثير من الأشقياء
عناؤك كما	ولك كثير من الانبياء
ظمانة تشاؤك المقاومة	سيقسو عليك الشتاء
لتشرب الحياة	وتحيط بك الذئاب بدعوى الدياجي
عليك أن تقاوم	فقاومهم بما استطعت
وإن ضاق صدرك	ولتشرق الشمس

لماذا أحبك ؟ لا تسأليني

شعر : عادل الطرابلسي

لأنك أحلى من الحلم أنت
أحبك جداً فلا تسأليني
دروب الحياة أمامي ربيع
سعيد أنا بالهوى فأتركيني
أنا لم أسأل كيف تيمّنتي
أرضيك إن لم أحب تخرجيني
أحبك ! هذا جوابي الوحيد
ومن بعدك العذب دقق الحنين
حل المأزق ابتلاك بحبي
ولما بك في الهوى يبتليني
جمالك أشد من العطر أنت
وسحرك أنقى من الياسمين
لماذا أحبك ؟ هذا سؤال
سلي عنه فيك جمال العيون
وإن خاطبتك العيون أجيبني
لتكحل بالنوم ليلاً عيوني

عاند وقاوم
وغدا ستصبح متوجاً
على عرشك البديع والوسيع
في حلة الربيع
وتنبت الزهور
فوق روحك الطاهرة
عليك أن تقاوم
فأنت التطهر
وأنت الظهور وأنت التبخّر
لأن كل الأنبياء أجمعوا
بأنك نبي
وأنت وصي
ووحيك الصمود
أقم الغضب
وسوس لإحساس العرب
وصلّى بنهر الحجر
« ومحمد الدرة » رتل وردد
فهو إمامك
أحزم سهامك
ثبت أقدامك في الانتفاض
فالريح تضمّر نفسك
سيجلب النصر
دوام اضطرامك
فالظلم أبله من أن يقودك
للاتدثار

قصائد

شعر : ابراهيم البهري - العراق -

1 - البقاء المؤبد

بل ، لا غد

لا

لا ، محصنة بتدبير اختزال الآخرين

هي « لا » مكبدة

تنام على القناعة

وردة « عريانة »

أبأن صحو الرافلين

لا يألون سوى التشابه

يحتفون بكل ما يُعلي انبهارات الرسوم

العسكري رديفهم في النأي والنجوى

وفي الأخبار « سيئة » و « عاجلة »

تشعشع فوق أكتاف مباهية و « مائلة »

صفوف

من متاليف النجوم

وكلما ألقى التعارف مجهرًا

حول التآليل البعيدة للضياء

جلس المؤرخ والغيباء

في ندوة تتدارك العجب / التساؤل

واحتمالات الفناء ...

لاشيء يكسل مازحا

قوس الوجوم

الأرض مشكال النجوم

تتراقص الأشباح في أمادها بأسا

تخزي

اعتبارات الفضاء

2 - من يكونون إذن ؟

أنا في واد غير ذي زرع

فخذ عصاك أخي

واتبع الهائمين

لست ترحل

بل ستقيم هياما

ويأتي الرعاة إليك

وفصل في الأمر ذنب

وتنفطر المزرعة

ليعود رعاة قدامى

يعيدون تحضير أعشابك المانعة

هَلَّلُوا
والغراب على رأسهم يتعجب
من خسرين تماما
يديرون ذبحة أصواتهم
والدموع الكثيفة
صوب حصان عجوز
ويتهدرون معا :
ها

لقد أقبل البطل !

ما أرى
ما يبيت البضاعة في جوهر الصبر ،
ثمّ يقال إليّ
وقد صرت من وشل
شبهها بالوشل :
لو تقول كلاما !
و(أواه) قلتُ ...
يقلّ الكلامُ
وليس يدلّ .



في واد
لم يكتبه الجبل الحكيم
ولا قرأته السهول الساذجة
تدور الحشود مصروعة بوجودها
وقادة الجند
يطلسمون طبوغرافيا الوجوه
لأجل تطهير أنسابنا

من نحن ؟

ما واد ؟

ما نسب ؟

ما تضاريس ؟

طفل رضيع سيضطر في الليل
في آخر الليل
يشلع من خيمة الضابط المتفطرس
نومته الوادعة !

3- خير الكلام

ها أرى منشدين وراء تلال الفواجع
يستنطقون بلادا من المرمر المرّ
شهقة شهد ...
وأرى في انكسار الحشود الحبيبة في السوق
سارية
كلت برؤوس البصل

ماتيسر من كتاب الجمر ...!

شعر : بشير ضيف الله - الجزائر -

1 .

توجس منّي المدى خيفة
كنت وشحته خيلاء التعجر ففبك
وسوسة القلب ضيئة كاللقاء
وعيناك شاردتان ..

ماذا تحملين ؟! قال قائلهم

ومسكت بالموت حدّ الشّالة فيك

أكنت الفتى المتألق حين تنكّر لي الأهل

والثقلان ؟!

توجس منّي ..

وفي صفوة الشّعر تشهر كلّ السيوف البنابيع

تفتك سيّدتي نبضها ،

والبتول يحركها هاجس لم يجد !!

سوف أعلن للقادمين بأنّي اعتذرت

وعلقت أشعارهم واحدا .. واحدا ،

هدهد الخصب منشغل البال ،

ما باله لم يعد ؟!!

2 .

وردة بالنّماء تعشّقتها

وهديلك في كفّها جسد الانشقاق ،

يلعلم أسرارها كالمشاهد ،

يوقظ أطفالها المنتشين ، كقيمة صبح

وماؤك خضّب مجرى الفراشات ..

من سيعلن في معبد الشّمس أنّي ابتدأت ؟!

أنا صاحب العرش .. أم كنت ؟!

يا أيّها الملاً التدمري ..

يلقّني هاجس الاقتحام ،

وعريدة المسكين بقشّة بحر ،

هلاميّة المتأبى كلّ هذي الوجوه ،

هلاميّة تتبرّم بالعشق دون مقدّمة

وتبيع الرّذيلة في وسط عنوانته الأصول !!

هجر الجزر ما يشتهي المدّ ،

وانكسر الطّوق إذ شرّتنا المسافات ،

كنّا احتفينا على مضض ..

خلف كلّ المواعيد متكأ جامد ،

خلف كلّ ندى كوة ، وثقوب مرصّدة

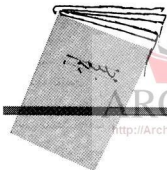
وعيون مسفرة كالفضول ..

أيّها الدّكثرون بأعينهم كالذي ..

أسلقوني بالسّنة تستبيح نهايتها ،

تتشبّث بالميز ،

صار ضوءاً .. وقوداً لمعركة بعد لم تبتدأ !!
لست وحدك ..
من كان علقني عاري الرأس من قدمي
أصقّ للريح مغترباً ،
وألّول وجه المسافات
في شقّة خضبتها التواءات ،
والبسملة الموضيعة تمنحني حلمة التيه
يا سيدي .. لست وحدك !!



5. آخر الكلام ..

قالت الوردة لاتبك،
فما في الدهر شيء يستحق !!
ها أنا بقطفني الناس لأجل الناس .. أجتث
وأوصالي تشق !!
قد جنا حسني علي ..
من تراه لانكساراتي برق !!
آه .. يا وردة أشجاني ، أغيشيني ،
حبيب النفس مفقود ..
متى ما حل .. قلبي سيدق !!

أم تتخصف بالعري ، والزيغ هلوسة
كلما ضاق وجه المدى ؟
.. هذا دمي أحمر .. زهرة اللّوس
غير أن النساء تعطرنه بحليب التميز ،
هذا دمي ..
ينتشي برزخ الموغلين تفاصيل ليمونة
لكأنتها تتواءمها ،
والصبيات يولجنها معرج التوت ،
كل المسامات نازعها هاجس واحد ..
غير أنني ابتدأت !!

3.

ولع العمر .. يقتله العمر ،
وهم يروض ما قد تبقى من الشوة المشتهاة ،
وعيناك ساطعتان ..
مولع بالينابيع مثلك ..
كنت الوحيد الذي ضوءاً الرمل في شفئك ،
إلى م .. إلى م المدى يتسع ؟

وتضيق .. تضيق المسافات ،

تتسع الأمنيات ، وينفث طلسمها ،
تتلاشى رؤى الكون فيك على غيلة ،
ورسول الهوى بعد لم ينقطع !!

4.

لست وحدك من غرز السيف
في جسد هذه التبغ ،
يلقي بأثقاله كلما استنفجر الوطن المتصلب
.. غصنك ...

لست وحدك من فتق النار في شاعر

يحدث المستحيل غدا

شعر : أبو طه عبد القادر مكاريا

سوف أولد من رحم الأمنيات
كنت دوماً أحطّ على راحتي وردة
وأقرّر أن تتحوّل بيتاً
أدسه بين الرّبيع وبينني
فلا تتدلّى عناقيده
ولا يتذوّق طعمه إلا الذين
يمرون من ضفّة القابعين
إلى ضفّة من يتقاسم عطر القصيد مع الآخرين
وكنت أحقّق ماشئت من هذه المنجزات
لاأظنّ الطفولة تكبر
إلا بقدر الوصول إلى رونق العشق
أو منبت الكلمات
كنت طفلاً أفسّر أي الوقوف
وأي الحروف
أفكر في أن أطير إذا بلغت قامتي
ضعف طول الرّصيف
وأقفز حتّى أطول
كنت أركب رجلي وأعدو بعيداً
ويعدو أمامي خطّ الوصول
لاأظنّ السّنين التي حملتني

إلى حيث أجلس
كانت تقدّر ما سأقول
فالنّبوة بجهل دوماً مداها
ويجهل أين؟ وكيف؟
سيبورق وحي الرّسول؟
أيّها الواقفون على جسّتي
اركضوا ...
اركضوا ما استطعتم
واعبروني إلى ضفّة لاجنون بها
لاذهل ...
كان حلمي إذا اكتملت رحلة المتعبين
أن أكسّر بيض النّعام
وأقتل منه حبلاً
تقود إلى مرفأ
يستدلّ به المتعبون
ويرتاح فيه الباحثون عن المتكأ
أيّها الواقفون على جسّتي
خذوني كما الحلم من بعضكم
واصلبوني على قامة الفجر
حتّى يحول الصّدأ

بعدما عشت بينكم
سوف لن أتوقع غير الخطأ
أنا آخر الأنبياء
حكمتي : الانبهار
ومعجزتي : أن أنبأكم ما توقع في أنفسكم
واختبأ

يحدث المستحيل غدا
وتقوت الرياحين
من شوقها للنبا
في انتظار الوصول إلى حكمتي
قليلًا من الصمت .

إلى أين تمضي

شعر : محبوب العباري

ARCHIVE

<http://chaleeb.com>

أيا قلوب هل ماتت فينا السؤال
وهل نحن متنا مع الأسئلة
نروح ونغدو ولانحن ندري
إلى أين تمضي بنا الأشرعة
فهل قد خلقنا لنسري بصمت
إلى أن نؤول إلى المقبرة
وأم أن نعيش الحياة سكارى
برغد ورعد من الأسلحة

كنت أغني

شعر : عادل الهمامي

أنا يا بلادي ...	تخيب موانئ ظني
سامضي إلى جثة اللحن أحبي	فأرجى همني إلى مدن للصقيع
النواقيس حتى يعود التغني	وأمضي إلى بقعة من فصول التمني
وأمضي إلى ضفة للهديل	أفتش عن روح قافية الأقحوان
أعود إلى أفق من هتاف	أفتش عن لحظة للأغاني
إذن ذات غيب	أفتش عني
تقادي الذهول	إذن ذات غيب
وكنت أغني	تقادي الذهول
***	وكنت أغني ...
بكيت	***
وها غصتي لاتروم الوصول	أنا يا بلادي
إلى مولد الانتها	جراح يعمقها الأوكون
برغم الدموع التي قد سقيت	ويضررها الآخرون
ورحت	ويفتحها العابرون
وكل الأماسي صعود المراثي	ويفضحها القاطنون هنا بفؤادي
إلى بعض لحن	أنا يا بلادي
جنازة وشم من الانتماء إلى	خرائط دمع على ضفة من مكان اللهاث
يزفونة ضوء	رحيل أنا نحو مكن دمي
وها قد نويت	وكل المواعيد زادي

أنا خاب ظني
إذن ذات غيب
تقادی الذّهل
وكنّت أغنّي

أفجّر وقعي
وأغثال نبضا تدلى من العمر
حتّى أراني
لعلّ الجراح نوت فيض وجهي
لعلّي غموض تعرّى
فبان الصّقيع الذي قد أتاني
وبان شرودي بغير التدنّي
إذن ذات غيب
تقادی الذّهل
وكنّت أغنّي

بقلبي نوارس شتّى
وهذا الزّحام كما لا أراه
علا نحو رقص لظلّ من الشّعر
نحو سماء
وهذي خطاه
وهذا الفتى جرحه فيض نخلة تيه
يريدون محو الذي قد بناه ...
أقول لكلّ الذين أرادوا
الظلام لوردي :

سأعلو
وأعلو
لأثني القصيد
لأثني البحار
لأثني ...
إذن ذات غيب
تقادی الذّهل
وكنّت أغنّي

أرى ما أرى
أرأى صدفي في خبايا جداولهم
يرسمون من الماكثات هناك
مرايا المياه
يقولون : « قلنا القوافي »
وكلّ الكلام بنوه من الشّدو منّي
ومن صدفي ...
لم أقلّ في المواسم إثمي
وحين علوت تبرا أهلي الكرام
من الإحتفال
ومني
ولم يحتف الأصدقاء بظلي
وفي الصّدق خابوا
فخبت
وخابت ظني
وضاع التمني

ورحت أرددني علّ وجهي غريب
فضعت

وما أدركوا - بعد - ظني

أنا ملء شعري

وحزني

أنا شاعر دون بسمّة فجر

أحبّة قلبي أرادوا التدنّي

بكيت

وضاع لهائي

سلام إذن يا جراحي عليك

فقد كان لي فرح دون نبض ذبول

وكانت بقلبي ابتسامات عمر

وكنت أغنّي

إذن ذات غيب

تمادى الذهول

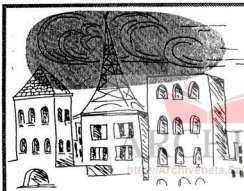
وكنت أغنّي

وقد لا أغنّي



مدينتنا

شعر : أحمد العقباني - المغرب .



مسافرة ...
مسافرة مدينتنا
تضاجعنا بلا حب شوارعها
وفي حب نضاجعها
وتبصقنا مرارا ...
ثم تتبعها ! ...
مسافرة ...
مسافرة مدينتنا
وتجلدنا صباح مساء
وتحشرنا مع الأزبال ...
والحشرات ...
والأوباء ...
وتأخذ نومنا ليلا ...
وتتبعها ! ...
مسافرة ...
مسافرة مدينتنا
ووجه الفقر طابعنا ...
وطابعها ...
وسيف الجهل يجمعنا ...
ويجمعها !
مسافرة ... مسافرة مدينتنا
تفتتنا مرارا كل ثانية ...
وتتبعنا بمشيتها ...
ولكن ...
دائما ستظل
تتبعها ! ...

ظلال من الأكوارال

شعر : سنية الفرجاني . المغرب .

1 . الظل الأول :

البيت	تخرج في عيني
وفي الصوت ...	ضوء أرفع من
وفي اليد	بصري
وأنا أرفع فوضاي	وأراك ترتب
إلى لغتي	جلستك
جسرا	الزرقاء
يتدحرج من شفتي	في دمي
إلى قاع الخد	تمشي ...
مورقا أراك	تحمل لونا لا أعرفه
وكلما ارتادت	تجمع ماء تحت
الرعشات	بديك
حلما خفيفا	تزرعني
أفتش عن وجهك	عنقود صفاف
في الشال	وغطاء
وفي الحال	ورداء
أبصرك تطلع في	أشبه بالجسد
فمي	صوتك يرتع في
أتبعثر	

أسقط في معصمي
وأشتهي يدك

2 - الظل الثاني :

يجنبني جبك
فقدان البصر
وصوتك أكثر من
مرتين
أعاد البحر جميعا
إلى ركبتني
وأيقظني
تحت أحلى مطر
أوشك أن أوقظ
أودية تلوح من
شفتي لأنني
يغطيني التماع
وقعته يداك
وأوشك أن أتفتت
في الأقمار
ثم ...
كم جبك عدن
وأنت أبد .

غربة الشفيق

شعر : خالد البابلي - العراق -

ألون صمتي	بلون أظافري
بدم الديوك على الشرفات	يشير إلى بجعة تشبه الصحراء
أوبهلال الحريف	ألون صمتي
أسنن أيامي المحدثبة	أقرط بالبهرجات اندثار الحاضرين
تحفل عزلتي بانفراد المصاييح	كيف تنجو سمائي من شظية تشل
مساء يجرجر خضرته على فضة الصباح	لذة الكواكب المشعة في سكون الظيرة
رماد يلمع نصف ذاكرتي بدخان الأقاليم	أو ..
في التفافة الأصيل	صعود الهواء
على رقبة النهارات ..	من بياض البندقية
المنفوخة بهواء الحروب	من سوار العصور ..
انتظر ..	المؤبجدة بذيل أيامي
السيدة الخضراء	كي أحرر جلد الفضاء
قرب موت الشجرة	كيف أمدّ جبالي
قرب ضفيرتها .. أشيد فجرا ..	ليدين رقبة
أو شراعا أقب لذتي في ظنونه الرطبة	أمدّ قمصتي لأضلاع تتعري من شعر
قرب جثتي ..	أصابعي
ستجدين قوسا	اسلفن رائحة الأبوة بدموع تحفل بالجمرات

وهن يجتمعن صلصال الندم
أو ..

[ما أشيّدَه من الأجراس]

كيف أوزع شموسي على كل هذه العتبات
أبعثر ..

ص ...

م ...

ت ...

ي ...

على فرشة الخلاقة

فقاعة «فقاعة» لمحو أخرى

فأدعو هذب عصفوري

لسماء ...

غريتي .. الجاحظة

غريتي .. البيضاء

غريتي .. السوداء

غريتي .. الخضراء

غريتي .. التي تشبه [رياض الغريب]

غريتي .. في ثوب [بركات]

غريتي .. في المياه

غريتي .. في السمك

إنك دنيائي ... لكن !!

شعر : حفيظة القاسمي

يا عذابي	اسأل النّار لظي
هاك مسكا من شبابي	اسأل النّاي شذا
هاك شهبا	اسأل الرّيح تسافر
هاك نجما لايحابي	بين أجنحة الحدود
هاك نومي ...	لن توقّيك حديثا
أسهر ليلي الحليك	عن صلاتي وسجودي
لأجمّع لك أنت يا مليكي	أطلب الله رحيمًا
ما تندى من رضاب الزّهر سرّا	أن يزيد من لظاي
ليعمد للخلود	ويحلّيني سهادا
إنك دنيائي لكن ...	وسنאי ... لا يكجّل بالنّشيد
لو وقت كلّ الورود	حتّى يبتسم حبيبي ..
وشجت لك فرحا	للندى ...
وتناغت للبلابل	ولألوان الفراش
كلّ أفراح الوجود	تتعطر بالضيّاء
ماحضيت لو سماعا	فيتوجّ والشموس
بظليل من هيامي	قد تغشّأها الذّهول
وشرودي بك أنت لو دريت	روح حبّ ووقيد
***	***

كن حياتي
ولا تكن نجمي الوحيد
لأن وجدك سيدي
يحرق حلم الجليلد
ولأنني يا سيدي
أعشق صمت الليالي
وأعشق تعريش الكروم
مع الدوالي
فهني طلّ من بهاك
ولأن أفراسي تكلّ
من لهاث قد يغالي
أترك صور الجنان
يتدثرن بلفّ من حنانك
لأبالي ...
فلقد تعلّمت الرضى
بظلّ ثوبك من بعيد



طائر الكتابات المنسية

شعر : سمير تهيمش



عليّ الآن أن أشعل موقد الروح مادام الخارج
بعيدا عن عمود النور

غارقا في رتيلاء الحبيبات البيضاء ..

أجفّف بلل الحلم الطالع لتوه من ضباب الزبد
الأزرق

أنفخ فيه من وهج الداخل سبع مرات ...

أمرّ عليه كفّ القلب تمسّه بزيت نوميدي أسود
دعياه مشدودتان إلى الطين الأبيض

تقتفي أثر الكتابات الأولى المنسية الممتدة من
الحجر الأول

إلى العشّ المهجور في السقف ...

وإذا نور أزرق لا يأتي من جهة ما

ينصبّ على الركن الأسير ممزوجا برائحة

مسخوق قرطاجي

فأحاول فتح الباب لأنفذ نحو الله ...

لكني أغدو غملا مشدودا للركن الأيمن

مغروّزتان بمسمار ورجلاه نابتان في الطين

وليس سوى عيناه تدوران دوار غراب

يبحث في القمم الباردة عن خيال حيفة

أو بقية رائحة ننتة ...

وبينما عينا تدوران في الزرقة

إذ يخرج من شذى الطين رسم طائر قديم

بألوان بربرية فيصبح ثلاثا

ثمّ يندلق طيف الحلم في جوفه

وأرى الطائر يتشكّل رويدا رويدا

ثمّ ينفش ريشه ويضرب بجناحيه

يتأملني طويلا وينفذ من فتحة لا أدريها

توقيعات الشوق

شعر : محجوبة الجلاصي

يا أيها المتخفي بين الكلمات
لا تسألني : لماذا طال صمتي ...
ولماذا أخجل من الورد كلما باغتني
وجهك ... وأرتبك ... وأنسى
أنتي كنت مشتاقة إليك أكثر
أيها المتخفي بين الورد والورد
هاهي المسافة تبيح عذابي
تخدش انتظاري فتعال .. وقّع
أنني المطر الذي يروي قحطك

والشمس التي تدفنك كلما باغتتك
الشتاء ... ووقع أنني قمر
وفرحك المنتظر فلا ترك حلمك
للموت ... وأدع قاتل الخطوات
يبوح للوجه بالضياء ...
تعال ... عجل هذا توقيع
أرسمه بزخات المطر ..
وأبوح بأنك مولاي ...
وسيد حداثتي

«الرّسم نافذة أخرى لاكتشاف مواطن الجمال ...»



قراءة في تجربة الرّسامة :
سميرة النميري

حاورتها : محجوبة الجلّاصي

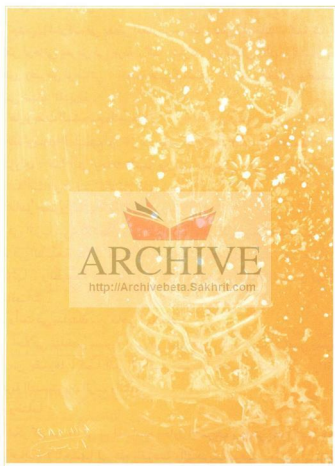
حين تحاول التمعّن في رسوم الرّسامة العصاميّة سميرة النميري وتقرأ تفاصيل صورها .. تجدها أحياناً غامضة وأحياناً واضحة .. ولكن أيضاً تجدها تلك الأنثى المكثفة بحبّ الحياة ... بحبّ الجمال .. تحاول بعث الأمل ... ومعالجة القضايا .. الانسانيّة ... سميرة النميري بدأت تشقّ طريقها بثبات ... وترسم بحرفيّة ... وتنحت لريشتها شخصيّة مستقلّة ... التقيناها ... فكان معها هذا الحوار الجميل ... جمال رسومها :

1. كيف ترسمين لنا نفسك ؟

سميرة النميري رسّامة هاوية ، عصاميّة التكوين والرّسم هو الوسيلة التي أعبر فيها عن كوامن نفسي .. أرسم الحالات الإنسانيّة ... لذلك الرسم بدايتي ونهايتي

2. متى شعرت بموهبة الرّسم ؟

منذ صغري وأنا أقلّد رسوماً ، ولكن حين كبرت ، كبرت معي هذه القدرة وتحوّلت من المحاكاة لتصبح « خلقاً » حيث أصبحت أرسم أشياء أحسنّ بها ، أشياء تجريدية ، تعبّر عن داخل الإنسان وتطرح أهمّ القيم الإنسانيّة ، كالضحية ، التمرّد ، الأمل .. الأمومة .. كلّ هذه القيم كانت عناوين



للوحاتي ...

3 - هل قمت بمعارض ؟

نعم ... شاركت في بعض المعارض وبعث بعض اللوحات ، كما شاركت بعرض لوحاتي بمعرض في جربة ، كما شاركت في ملتقى الأدباء الشبان بحي الزهور وعرض لوحاتي ، أيضا في ملتقى الطاهر الحداد وتحصلت على شهادات تقديرية .

4 - هل وجدت التشجيع والدعم ؟

لقد وجدت التشجيع من كل من يقدر الفن سوى كان من الأصدقاء أو من المسؤولين ، كما أنني وجدت الدعم من قبل مسؤولي دار الثقافة بين عروس وخاصة أستاذي توفيق الكوكي الذي شجعني كثيرا ..

5 - ماسر حضور الطبيعة بكثافة في رسومك ؟

هي أقرب شيء للإنسان وهي مصاحبة له في كل مراحل حياته كما أنني أجد في الطبيعة سرا لا مثيل له حيث تعبر بجمالها ، بشورتها بقساوتها وهدونها ، والطبيعة عالم مزوج من كل التناقضات كعالم الإنسان فيه كل المتناقضات .

6 - وأنت في بدايتك ... ماهي أحلامك ؟

أحلامي تتلخص بصورة أولى في بروز فني ، كما أحب أن تصل رسومي إلى من يقدرها ، كما أتمنى أن أقدم معرضا خاصا ، كما أتمنى أن أقوم بتجربة التنسيق بين الرسم والشعر .

7 - وختاماً :

أشكر كل من مدّ لي يد المساعدة وحاول التعريف بريشتي كما أشكر مجلة «الإنحاف» لإتاحتها لي هذه الفرصة والتعريف بموهبتي وأتمنى أن تتطور تجربتي من الهواية إلى الاحتراف .

الطفل والكنز

بقلم : مختار المومني

أكثر من الجهاز .

انتزع الرجل جرة قديمة مشققة الجوانب ..

نزع قميصه .. طرحه أرضا .. نزع غطاء الجرة

.. وضع فتحتها إلى أسفل فتساقطت منها

قطع نقدية ذهبية صفراء في لون الشمس

صاح الطفل فرحا :

انظري يا جدتي .. إنها نقود ذهبية ..

ما أجملها وهي تتوهج تحت الشمس !

أمنت الجدة على كلام الطفل

يا له من رجل محظوظ .. لقد عثر على

كنز! أه يا طفلي العزيز.. لو يعود بي الزمان

ويرجعني إلى شبابي لذهبت إلى منزل آل

« ياسين » .

وماذا ستفعلين في ذلك المنزل الحروب يا جدتي ؟

سأنشئ أنقاضه، وأحفر تحت أسسه وأخرج الكنز

تقولين الكنز ؟!

أجل يا ولدي .. أذكر منذ زمن طويل .. جاء

رجل مغربي وجمع بعض الرجال من القرية وقال

لهم :

تحت أنقاض هذا المنزل كنز .. لو أعنتموني

كان الطفل أمام جهاز التلفزيون يشاهد

شريطا سينمائيا .. وكانت جدته إلى جانبه

تشاركه متعة المشاهدة .

على الشاشة الصغيرة كانت صحراء ممتدة

وبقايا لقصر أثري . وكان ثمة رجل يحفر

بجانب القصر .. كان يعمل بهمة ونشاط

والعرق يتصبب منه

.. لماذا هو يحفر ؟!

سأل الطفل جدته

قد يكون عالم آثار يقوم ببعض الحفريات للعلم

يكشف شيئا ماء الفأس ينزل ويرتفع ..

ويرتفع وينزل من جديد . والرجل يعمل في همة

ونشاط .

ياله من حفار ماهر !

قال الطفل متعجبا

ابتسمت الجدة ولم تعلق على كلام الطفل

فجأة ارتطم الفأس بشيء صلب .. ألقى الرجل

بالفأس وجلس على ركبتيه وطفق يحفر

بيديه .

حدق الطفل في شاشة التلفزة .. اقتربت الجدة

لاستخرجته واقتسمناه فيما بيننا
غير أن الرجال خافوا أن يغرر بهم المغربي بعد أن
يخرج الكنز
كيف ؟

يقولون انه ساحر والناس لا يطمئنون للسحرة
فاجتمعوا عليه وأوسعوه ضربا ثم أطرده خارج
القرية .. آه يا ولدي لو أقدر على إخراج الكنز ؟
هل تهيئني منه شيئا يا جدتي ؟
أعطيك منه إثنين بالمائة
غضب الطفل .. قام منفعلا .. أغلق التلفاز ..
دخل غرفته وانخرط في نوبة بكاء
سمعتة أمه دخلت إليه

مالك تبكي يا صغيري ؟ هل ضربتك جدتك ؟
جدتي العجوز تأخذ كل الكنز ولا تعطيني سوى
إثنين بالمائة هل تراها ستعيش ألف سنة .
حضنت الأم طفلها وجعلت تطيب خاطره حتى
أخذه النعاس في حضنها في الصباح لم تنهض
المجدة كعادتها باكرا وعندما تحلقت العائلة حول
المائدة لتناول إفطار الصباح قالت الأم لطفلها
ادخل غرفة جدتك وأيقظها
نادى الطفل : جدتي .. انهضي .. الإفطار جاهز
لم تحب المجدة
حركها الطفل وهو يصيح قائلا :
انهضي يا جدتي وأنا أتنازل عن نصيبي من الكنز
لم تنهض المجدة
نادى الطفل أمه
أمي أمي جدتي لا تتحرك
وعندما دخلت الأم غرفة المجدة .. كانت المجدة
جثة متخشبة .

أحزان رجل منسي

بقلم : بلقاسم برهومي

تفاصيل أحزان عمري ... أغوص في الكتب
والمجلات المتناثرة أمامي بعض السويقات ...
هذه قرية «أم العرائس» بكلّ هومها تغزو
مخيّلي ... أحزان الناس فيها تتمطط عبر
سطور ذكرياتي البعيدة ... وفجأة تصبني نوبة
بكاء حادة ... بينما تنفّس علامات الدهشة
والاستغراب على وجه أمي وتسألني في ذهول
مصطنع :

« أشبّيك يا وليدي .. أش ثمة ؟! ... »

وأشعر أن نار الثورة يتأجج لهيبها في داخلي
... فأصرخ في وجه والدتي العجوز :

.. أمي .. أمي .. إنني ألعن يوم ولادتي ..
كرهت الشوارع القذرة المتجهمة .. سئمت
الناس، والأشياء في هذه المدينة الحزينة ... بل
حتى نفسي صرت أمقتها .. لماذا ؟! ...
لماذا ؟! ... لأعلم لأعلم ... هاأنتي الآن
في عزّ شبابي ... أبغض الشباب !! ... هنا
في قرّتي النائية لا توجد نوادي .. دور شباب
... مسابح .. ملاعب ... مصانع ... لا شيء ..
.... لا شيء ... لا شيء ... غير الفسفاط

أقبل المساء ... وأسدل معه الليل ظلامه
الدامس الحالك على شوارع القرية المنجمية
القابعة بين كتبان الفسفاط المترامية الأطراف
والجبال العالية الشامخة ... كان المطر ينزل
بغزارة ، فتتساقط حبات الماء الزلال على
بطحاء «الدرسة» في تؤدة ... كانت السماء
تليس ثوب السحب والغيوم الخالكة ... وبين
اللحظة والأخرى تهجم السيول على الأبنية
المنازعة والمنازل المتداعية ... وكنت أسمع
حشرة طوب الجدران المتأكلة وهو يتهدّم ...
فيهزّني ألم جارف عنيف ... وأحسّ كأن قلبي
يكاد يقفز من بين ضلوعي شفقة على تلك
العائلات التي يرفع كافة أفرادها أياديهم لله
تعالى طالبين الرحمة، وهم خائفون مذعورون
من تكاثر العواصف الشتوية والرياح الباردة
... « ياربي ! .. اللطف ! .. الرحمة ! اعتنا
لأبناش .. لا علاش ... آه ياربي ! .. اللطف !
الرحمة ! ... »

وكنت أنا في ركن من الغرفة التي أقطنها مع
اخوتي الخمسة أطالع ... أحاول أن أنسى

أهلي ... نعم بين أهلي أتلو في أحزاني ...
 جاتنا .. عاريا .. ولامن رحيم .. اسمع
 يا ولدي ... لقد كنت أشتغل بالنجم مثل غيري
 من العملة مطعمن البال .. مرتاح الضمير ..
 أكدح ولأكثر بالأخطار ... ثم مالبت أن
 وجدت نفسي أعاشرفاقا السوء فشريت الخمرة
 .. وصرت ذا سلوك مشين ... وكثرت خلاقاتي
 في العمل .. وغياي بسبب وبدون سبب ..
 وطردت بدعوى «أني مجنون ... يختلط
 صحوي بمعاقرتي المستمرة للقارورة الملعونة ...
 وتنكر لي كل الأهل والأقارب .. عندها فقط
 أدركت أن الصداقة منفعة متبادلة تدوم
 بدوامها ، فحملت أدياشي ... وسافرت ...
 لاسألني إلى أين ؟! ... فلقد كنت أمشي
 ولأعترف وجهتي ولأين سأقف ... وبعد أن
 زالت عني آتاعاب السير في الصحراء .. دخلت
 الأرض اللبية ... لم أجد في الحقيقة ماكان
 يراودني من أحلام ... وأماني .. وأثقلت عليّ
 الغربة والهجرة .. ووجدت الجوع يلتهمني ...
 قرصتني عقاريه الموحشة فشددت بيدي على
 بطني ، وصبرت ... كم بت ليلى محروما من
 الأكل .. زادي وسلاحي الصبر .. طلبت الحبز
 ... تسوكت ... وأخيرا .. أظلمت الدنيا أمام
 عيني .. وانسدت في وجهي أبواب الرزق ...
 فمددت يدي للسرقة .. سرقت يا ولدي !!
 هل تتصور ما هو أبشع من السرقة ...

والغبار
 ونظرت إلى أمي فوجدتها تبتسم بسخرية
 وتقول لي :
 - لا يههم يا ابني .. لا يههم ..
 وانتفضت فجأة ، وقمت فجمعت أوراقي
 المتناثرة ورميت بها في جيبتي ، وخرجت لألوي
 على شيء ... وصرخات اخوتي ترتفع
 ورائي ...
 أنا هارب ... هذا الطريق يمتد طويلا أمامي
 ... إلى أين أنا ذاهب في هذا الظلام الموحش
 والمطر المتواصل ؟! ... ذاك ماكنت أجهله ،
 كنت أجزأ خطاي في تشاقل فيجرح قدمي
 الحصى المرشوش على قارعة الطريق ... كانت
 قطرات المطر تنهال على وجهي ... وتقدمت
 بعض الخطوات ... هذا «العربي بالراقدة»
 ملقى على «جرد زاورة» يحملها على ظهره
 صيفا شتاء ... رمى نفسه على جزء منها
 واتخذ من جزئها الآخر غطاء يحميه من
 لسعات البرد والمطر ... رمقني بنظرات بانسة
 لها ألف معنى ... مد لي يديه المكسوتين ...
 - «العربي ... أش رايتك في الحياة ؟!»
 أغمض العربي عينيه لحظة ثم انطلق يحكي
 وكأنه ينتظر هذا السؤال من زمن بعيد ...
 - أه يا بني ... ماذا أقول عن هذه الحياة ؟!
 لقد امتص الزمن الظالم رحيق عمري ...
 هأن الفقر والغربة ينهشان جسدي وأنا بين

الحفي ... أنا مجنون لأنّ كلام النَّاس كالكلاب
الضارية تنبح أمامي ووراني لم أطق صبرا
يا ولدي ... تمرّدت على الحياة ... وعلى
تقاليد النَّاس البالية ... مارأيك يابنيّ في ثورة
رجل منسي ... معذرة !! ... ماكان لي أن
أسأل مثل هذا السؤال ... طبعاً إنك لتعرف أنّ
ثورة انسان ضعيف ، حزين ، فقير ، مجنون
كما يزعمون سوف ينالها الفشل الذريع ...

ابتسمت في مرارة لانتخفي ... خرجت الكلمات
عفويةً من فمي ... قلت له :

.. إنني مثلك يا «العربي» ... كلنا مثلك .. فلا
تفرك الأشياء الخادعة ... فأنا أحزاني تشبه
إلى حدّ بعيد متاعبك .. سنبقى أصدقاء ..
فقراء ... غرباء ... في مدينة منجمية ..
يغطي الفسفيناظ وجوه عمّالها .. جرداء
أشجارها ... قفراء شوارعها ... عطشى
أهاليها ...

ودون أن ينتهي حديثي مدّلي صديقي الجديد
يده ... وتصافحنا على أمل اللقاء غدا في
مثل هذا الموعد ... ورجعت إلى منزلي الحقيقير
وفي الطريق كنت أزال أفكر ... كيف تتواصل
صداقتي مع رجل منسيّ ...

شرح الألفاظ الواردة باللهجة العامية في القصة
* «الدرسة» الحي الشعبي
* «لاعنا لباش ... لا علاش ...» نحن فقراء ولا نقدر
على مواجهة الكوارث

وقبضوا على شخصي البسيط ... فصرت
سجيناً يرسف في الأغلال ... كان الدم الأحمر
القاني ينجس من أجزاء جسدي مع كلّ ضربة
من حارس السجن ... كانت التهمة كبيرة في
حجمها وعشت خمس سنوات كاملة وأنا في
ظلام السجن ... وجاء يوم ! ... خرجت فيه
من السجن ... فرحت أبحت عن الشغل ...
لم أحجده ، وصرت غريباً عاطلاً ... آه ...
ما ألعن البطالة في بلاد الغربة يا بنيّ !! ...
وذات مساء ... رموا بكلّ المتسكعين والغرباء
في شاحنة وكنت معهم ... تمكنتني شعور
بالخيبة لأنّ كلّ آمالي التي سطع نورها ذابت
كالسراب الخادع ... ورجعت إلى قريتي ...
طلبت الشغل فلم أجد غير البطالة ... امتلأت
ذاكرتي بالوعود الكاذبة ... والآن ... ها
أنتني كما تشاهد ... غريباً لا ملجأ يضمّني
... ولا رفاق ولا أصحاب ولا خلان يعطفون عليّ
... أو يمدّون لي يد المساعدة .. الفقر مسمار
حادّ يمزّق شظايا عمري ... ماذا أقول لك أكثر
من هذا عن الحياة ؟! ... إنها خائنة ... تغتال
بريق الأمل في الوجوه تذكّر حالتني يوماً ما يا
ولدي ... ولا تقل مثلهم «العربي» مجنون
... أنا مجنون لأنّني عندما أعددت أكشف
حقيقتهم .. أزيح الستار عن زيفهم .. تراهم
يضحكون منّي وفي الواقع أنا أضحك
لغباوتهم ... ولا تثيرني أقاويلهم ... وهمهم

* «ربيعخيزه .. الله ايقد أحسالك» : اعطني قليلا
من الطعام أو بعض الخبز ... والله يحفظك من كل
مكروه ...
* «السردبته» : علبة مصبرات غذائية من السمك
المعلب يقع تناولها مع الخبز
* «آش رايك في الحياة؟...» : ما رأيك في الحياة؟
* «القارورة الملعونة : المقصود بذلك قارورة الخمر
اللعينة .

* «أم العرائس» : مدينة منجمية بالجنوب الغربي في
تونس
* «آشبيك يا وليدي؟ ...» مالذي يقع يا ولدي؟ ...
* «آش ثمة؟ ...» : ماذا يجري؟ أو ماذا وقع ..
تكلم ...
* «الحصى المرشوش» : الحجارة المتناثرة على الطريق
* «العربي بالراقدة» : اسم لرجل يانس
* «جرّد زاورة» : غطاء صوفي قديم

« شناسيل البنفسج »

شعر: أحمد جابر الله ياسين
http://ArchiveBeta.Sakhril.com
العراق .

بثوبها البنفسج
يستيقظ الصباح
لابوصايا حضرة المدير
أوصلعة الفراش
بخطوها ،
يستفتح المبنى ، ويخضر الدّرج
رأيتها ، بين الرفوف والدواوين
أستيقظ السيّاب والمطر
بين يديها يسأل المراجعين
« هل ما يزال الشعراء ... »
تحت شناسيل النساء يزرعون ؟
من يمنح الشاعر شبرا من ممر المكتبة
حيث مشّت ،
سيدة الصباح والبنفسج وهو الكسيح
ينتظر الأمطار والفرج !

الطار

بقلم : عباس سليمان

قبل فجر كل يوم، يتوجه « جاء بالله » إلى دكانه الذي يتوسط حيناً الكبير . يدير المفتاح داخل القفل و هو يحول و يبسم ثم يضغط على زر التتوير و يدلف إلى الداخل . و إذ تنفذ إلى خياشيمه روائح بضائعه المختلفة ، يسارع إلى النافذتين الحديديتين العاليتين و يجذب خيطيهما المتدليين فتنتفتحان.

عبر الباب الكبير و النافذتين العلويتين يتسرب الضوء من الحائوت فيبدد ما يحيط به من ظلمة و ينذر من استفاق من سكان الحي بمجيء العم جاء بالله و مباشرته عمله . لكم يتشامع عطارنا من حريف يسبق غيره إلى الدكان صباحاً فيطلب شيئا و بدل أن يمد ثمنه يخرج من جيبه كنشه المنتفخ قائلاً كالأمر « هاك الكنش ، سجل ... » .

البيع بالتسهيل في الدفع أمر أصبح قاعدة في التعامل مع سكان حيناً والعم « جاء بالله » حتى أن الرجل أصبح يزن البضاعة و يمد يده تلقائياً لقلمه الأزرق المربوط إلى لوحة المضرب بواسطة خيط متين فيسجل ثمن ما أعطاه في كنش الحريف و في دفتر يحتفظ به لنفسه . يكاد تاجرنا لا يرى النقود بعينه و لا يلمسها بأصابعه إلا في اليوم الأخير من الشهر و ربما خلال يومين أو ثلاثة تليه . الناس يشترون بالكنش و إن صادف أن طلب أحد الحرفاء بضاعة لا تتوفر في دكان العم جاء بالله فليس على هذا الأخير سوى مده بتمنئها ليتمكن من جلبها من مكان آخر .

يحاول « جاء بالله » أن يوفر في متجره كل ما يطلبه حرفاؤه الكثيرون: زيت و قاز و قوارير غاز و خبز و مواد غذائية و منزلية و فحم و سجانز و أقلام و كرايس و عطر و أقراص صداع.

حائوته يدخله الشيخ و الصبي و نسوة عجائز و فتيات عزابات و سيدات متزوجات يأتين أحيانا في ملابس ليلية خفيفة، و يهجم عليه قبل أوقات الدراسة و بعدها تلاميذ المدرسة القريبة فيملأون المكان ضجيجا و صياحا و يفرغون في جيوبهم الحلوى و الطباشير و قلوب عباد الشمس .. و لعل أطفال المدرسة هم وحدهم الذين يتعاملون مع العم جاء بالله بالدفع نقدا و فورا . لذلك تراه يحيطهم بالتبجيل و لا يكاد يقضي لواحد حاجة قبل أن يلبي طلبات حرفائه الصغار و يفرغ في درجه ما أخذه طوعا أو كرها من أمهاتهم و أبائهم و جدودهم و جداتهم. كل ذلك و هو يوزع عليهم إبتسامته و نكاته .. يلاطف هذا ويلعب ذاك ، يسأل واحدا عن صحة أمه ، و يوصي آخر أن يسلم على أبيه.

العم جاء بالله جاوز الخمسين و لم يدخل بعد الدنيا . يتناول في أغلب وجباته خبزا مع الجبن أو الزيتون أو الزيت ، و ينام وحيدا لا يؤتمسه في سريره البارد غير دفتر

صبرهم يوما في الشهر . أعرف أنهم سيعودون بعد ذلك لينادوني بـ « سي جاء بالله »
(بالله يا سي جاء بالله .. من فضلك .. هل يمكن .. سامحني .. يعيشك .. يعطيك الصحة
يعطيك الصحة ...)

تحسس جاء بالله جيوبه فوجد هاتقيلة منتقخة بما تحويه من أوراق نقديّة جمعها هذا
اليوم .. غمره إحساس بالفرح غطى أو كاد على شعوره بالإتهاك .. جيوبه المكتنزة
شاهدة على أن وقوفي في الدكان من الفجر إلى الليل لا يذهب سدى . غدا سأحاول أن
أسرق من وقت العمل بضعة ساعة أجري فيه إلى شبك الإنخار لأثري حسابي
بمحصول هذا الشهر .. سيلح علي مدير البنك و موظفوه للبقاء و شرب قهوة و لكنني
ساعتذر كالعادة متعللا بضيق الوقت و بأنني أغلقت الدكان و تركت الزبائن ينتظرون
و .. و .. و ..

جنب « جاء بالله » الغطاء الصوفي حتى رأسه و زاد من انكماشه حول نفسه ثم مد
يده إلى الزر القريب فأطفأ النور .. و لكن النوم رفض أن يأخذه من أفكاره و تخميناته
.. هكذا هو « جاء بالله » دائما ، يرفض بدنه أن يستسلم للنوم عندما يكون منهوك
القوى .. و تأبى أفكاره أن تهدأ كلما انتابته نشوة عارمة . « ملايني تزداد و العمر
يجري نحو نهايته .. لمن أكتس أموالي و على من أشقى .. أنا الذي حرمتني الدنيا حتى
من الوريث ...

لماذا لا أغير حياتي و ألقبها راسا على عقب ؟! أحسن من هينتي و أنتدب للدكان صبيا
.. و أبحث لي عن امرأة أتزوجها على عمري يمتد إلى أن أرى لي طفلا أو أكثر ..
لماذا لا أترك الدكان و أسافر فأسبح في أرض الله الواسعة أشاهد عوالم أخرى و أحتك
بأناس آخرين و أنسى و لو لأيام صياح أطفال المدرسة حولي و شروط الحرفاء
و أوامره و « هاك للكنش سجل » .. و قد أعثر أثناء سفري على بنت الحلال ..
الحانوت لن يطير . و العمل إن هجرته أياما معدودات سوف أعود إليه .. الحرفاء إن
جاعوا لست أباهم و لم أدهم .. ماذا يربطني بهذه الحياة الرتيبة الكالحة ؟ ما لدي من
مال أستطيع أن أعيش به نصف قرن آخر ... إلى متى و أنا أنام وحيدا .. كيف أفعل لو
فاجاني ألم في فراشي و الناس نيام ؟ .. علي أن أجد حلا .. أن أغير حياتي الآن ، يجب
أن أنام لأتمكن من القيام باكرا .. أنتقد الدكان قبل أن يستيقظ الناس و أتوجه إلى محطة
سيارات الأجرة .. تبا للدكان و للحرفاء .. لن أعود إلا بعد أن أشبع من الدنيا و أتمرغ
في ملذات المدن ، في أسواقها و مطاعمها و نزلها و شواطئها .. لن أعود قبل أن أعثر
على امرأة ترضى أن تقاسمني السنين المتبقية من عمري .. سأختارها غنية مثلي ، لا
عجوز تقرف و لا صبية تسلب العقل ، لا جميلة تجلب الأنظار و لا نسيمة تنفّر من
يراهها ...

أه رأسي ستتفجر من كثرة التفكير .. أطرافي أحسها باردة و عينايا بدأتا تتقلان .. هل
سأستطيع أن أنهض باكرا لـ ... ؟»

الحسابات يضعه تحت رأسه الكبير الذي بدأ الشيب يغزوه و هو يحس أنه يضع تحته رجال الحي و نساءه أسماؤهم و حساباتهم شاهدة على أنهم مدينون له بحمرة وجوهم و تدلي كروشهم و تقل أرداقهم. مدينون له بأطفالهم الذين ينجبون .. ماذا لو أُرعد جاء بالله و أُرُبد و نحى جانباً طبيئته التي جبل عليها و صقلتها مهنة التجارة و رفض أن يبيعهم حوائجهم بالكش؟! ماذا لو ثار على نفسه و عليهم و أقسم برحمة أمه التي لم يرها ألا يبيعهم شيئاً بدون مقابل؟ ماذا لو طالب كل حريف بدفع ما بنمته فوراً...

« جاء بالله » لا يجرؤ على ذلك .. لا أحد أرغمه على البيع بالتسهيل .. و لن يستطيع أهل الحي أن ينفخوا ما بنمتهم و لو أرادوا .. و لا يمكنهم أبداً أن يستغفوا عن الكش . الكش حياتهم. به يأكلون و يسخنون و يتعطرون .. و « جاء بالله » رغم « الكريدي » أصبح اليوم من ذوي المال .. حسابه في البنك ينتفخ شهراً بعد شهر .. مداخله في

ازدياد و مصاريفه تكاد لا تذكر. فلن تجمع أموالك يا « جاء بالله » هكذا كان يفكر دائماً ، ماذا غنمت من الدنيا و ماذا رأيت من مباحجها ؟ ماذا جنيت غير اللهاث وراء تكديس الأموال مع ما في ذلك من سهر و تعب و جوع ؟ أنت لا تتذكر أنك بقيت يوماً في فراشك بعد الفجر .. و لم تعد يوماً إلى بيتك قبل أن يكون الجميع قد استقروا في أفرشتهم .. و أنت لا ترجع ليلاً لتجد في انتظارك زوجة تبسم في وجهك و تقدم لك أكلاً ساخناً ثم تقاسمك الشاي و المنهو و الفراش ... و أنت ليس لديك طفل يناديك « بابا » أنداك و حتى من هم أقل منك سناً أصبحوا جدوداً أو كادوا .. أينأوهم

و بناتهم في المعاهد و الكليات و بيوت الزوجية و مواقع العمل .. كيف سمحت للعمر أن يجري بك سريعاً .. سنواتك الخمسون قضيتها ترصف السلع و ترن البضائع و ترضي الحرفاء و تضبط حسابات الديون في الدفاتر و في رأسك في حلمك و يقظتك .. جمعت المال ، نعم ، و لكنك فعلت ذلك على حساب عجزك الذي انقضى كومضة برق ، كلمح البصر ، كالنقطة السريعة ، كلاً شيء ... لم تكن تجد الوقت حتى للذهاب إلى الحمام الكبير غير البعيد عن سكنك فتدفع بذك و تتبسطه و تزيل عنه ما ترسب فيه من بقايا الزيت و الفحم و الزبدة و الطباشير و الأتربة و الغبار و غير ذلك ...

انتشر الظلام سريعاً فأوى الناس إلى بيوتهم و خلت ساحة الحي و أزقته من الغادين و الراحين . أقل « جاء بالله » متجراً و خف إلى بيته يصارع لساعات البرد بحث الخطى .. دلف إلى الداخل و اتجه نحو المطبخ يتفقد إبريق الشاي - يتذكر جيداً أنه طبخ البارحة شايًا - و إذ ألفاه نصف ممثلي عمد إلى تسخينه ليشرّب منه كأساً كبيرة قبل أن ينزع حذاءه و يرتمي في سريره بملابسه التي ارتداها هذا الصباح.

منهك أنا هذا المساء .. لا أستطيع حتى أن أغير ملابسي ، طعم الجلوس لم أنقه منذ الفجر .. اليوم رأس الشهر .. تهافت علي الحرفاء و ازدانت طلبات أطفال المدرسة .. رأسي ستفجر من كثرة عمليات الجمع و الطرح .. و الحرفاء أيام رأس الشهر يصبحون سليطي اللسان كثري الشروط فاقد الصبر .. (تحرك يا جاء بالله ، تثبت جيداً يا جاء بالله .. أنت بطيء ، أسرع .. هذه لا أرغب فيها ، أبلها بأخرى .. خذ مني حسابك و إلا ذهبت ...) و لكن لا بأس إن تحملت شروطهم و سلاطة ألسنتهم و نفاذ

ما أن وضع « جاء بالله » قدميه على أرضية محطة سيارات الأجرة و شاهدت عيناه البنائيات الشاهقة و اللافتات العملاقة و الحركة الدائنية و السيارات و الحافلات مختلفة الألوان و الأحجام و الغادين و الراحين حتى انتابه احساس بأنه انتقل إلى كوكب آخر . شفق و اتسعت حدقتا عينيه و غمره للحظة شعور بالندم و رغبة ملحة في العودة من حيث جاء . ولكنه قاوم رغبته و عزم على خوض التجربة مهما تكن و تكن نتائجها ..

التقط أدبائه ووقف على الرصيف يجيل عينيه في الغاديات و الراحات .. لحوم بيضاء مكتنزة و شعور سوداء مسترسلة .. أعين جميلة جذابة و شفاه طرية حمراء .. قمصان و سراويل ضيقة و فساتين فوق الركب . عجب « جاء بالله » كيف لا يشعر هؤلاء بلسعات البرد و كيف يكتفين بما يلبسن و الفصل شتاء .. أحس تجاه نفسه بالعرف و هو يستعرض في ذهنه رزمة الملابس التي تلف بدنه المترهل .. جوربان إثنان و ثلاثة سراويل .. قميصان و صدرية .. سترة و معطف عليهما « قشائية » و على رأسه شاشية حمراء يحيط بها شال أسود تتكلى أطرافه إلى الورا ..

وقف شابان في مقبل العمر وراء « جاء بالله » يصلحان من هينتهما و يتشاوران :
- إلى أين ستتجه الآن ؟ سأل الأول .

- أعرف نزلًا فخما قريبا من هنا .. سنحجز فيه غرفة نضع فيها أدبائنا و نرتاح قليلا قبل أن نشرع في قضاء مصالحنا .

مشى « جاء بالله » ورائهما و هو يستعرض بعينه الشوارع و السيارات و الغادين و الراحين . و شعر بشيء من الفخر و هو يرى غير قليل من الكهول و حتى الشبان يضعون على رؤوسهم شاشية تشبه شاشيته . امتدت يده إلى الشال الأسود تنزع و إلى الشاشية تنزلها .. تفحصها « جاء بالله » فألقى حواشيها محاطة بغلاف أسود صنعه العرق و الأثرية و الغبار فأسرع يعيد الشاشية فوق رأسه و يغطيها و هو بحث الخطى في أعقاب الشابين .

تنفس الصعداء و هو ينهي تسلق درجات السلم الطويلة .. أدار المفتاح داخل القفل

و ارتقى فوق السرير الوثير و عيناه تتجولان في ما تحويه غرفته الجديدة .. خزانة بجانبها باب داخلي يقضي إلى الحمام و طاولة عليها باقة ورد اصطناعية و حذوها كرسيان .. و قرب السرير آلة الهاتف و قبائله جهاز التلفزة .
« كل هذا لا يهم ، قال « جاء بالله » يحدث نفسه ، أنا لم أت لأنام على سرير و لا لأشاهد برامج الشاشية ، جئت لأرى الدنيا .. لأختار امرأة .. لأتجول ... الآن يجب أن أستحم و أغير من هينتي و أنزل إلى الشارع... »

انتحى صاحبنا ركنا في إحدى المقاهي المطلة على وسط المدينة و جلس يتشرف كاسا من الشاي و عيناه لا تكفان عن متابعة الحركة الدائنية التي تزداد هيجانا ساعة بعد ساعة .. فجأة أقبلت تنهادى أنسة بدنية الجمال ، شعرها كستنائي غزير ، و بدنها مكتنز زاده ضيق ملابسها حلوة و جانبية .. برفق ، جذبت كرسيا و جلست غير بعيد عنه ..

و هي جالسة كشفت عما كان يستره وقوفها .. نزعت نظارتها و سوت شعرها .. و طلبت شاي عجب « جاء بالله » من جراتها ووثوقها بنفسها .. بهرته أنوثتها فلم يستطع أن يحول عينيه عنها و أحس بزهو لا مثيل له و هو يراها تلتفت إليه ، تتفحص هيئته - هيئته التي صارت مقبولة بعد أن قص شعره و حلق ثقته و استحم و غير ثيابه و نزع شاشيته الحمراء و الشال الأسود.

ابتسم لها فابتسمت له .. فرك عينيه ليؤكد أن التي أمامه فتاة مدنية تبادل الإبتسام و النظرات .. صوب « جاء بالله » بصره على سطح الطاولة ثم رفعه فضبطها تدقق النظر فيه و الإبتسام لا تفارق محياها.

« أنت محظوظ يا « جاء بالله » محظوظ لأنك عثرت سريعا على ضالتك .. يبدو أنك لن تطول المكوث في العاصمة . لن تهجر دكانك و حرفاك لأكثر من أيام معدودات تعود إثرها مصحوبا بهذه الفتاة التي ساقها القدر إليك و حطها بين يديك ...

هل ترضى أن تعيش معك حيث كنت .. هل ترضى أن أعود إليها ليلا تقوح مني روائح الزيت و « القاز » و الزبدة و البهارات .

هل ستقبل .. إن قبلت ، ستمتلئ قلوب رجال الحي و شبانه حسدا و غلا .. سيغارون مني و من حظي و سيمسبون حياتهم و زوجاتهم .. سيقولون « جاء بالله » رجل رصين ، لم يفكر في الزواج إلا بعد أن صار غنيا .. « جاء بالله » صبر طويلا و نال خيرا منا و مما يمتنى ...»

و انتبه من تفكيره على مرأى شاب وسيم و أنيق يقترب من الفتاة الشقراء و يجذب كرسيا ليجلس حذوها . وفتت الفتاة و نهركه و لكنه أصر على مجالستها و التحدث إليها .. التفتت إلى .. « جاء بالله » تستجديه .. هتب .. « جاء بالله » واقفا و اقترب من الشاب الوسيم . لم يكلمه .. و لم يترك له الفرصة للكلام .. و إنما سد له

لكمة قوية على خده هب على إثرها من مرقده ملتاعا و هو يمسك بيده اليمنى .. كانت تؤلمه .. لقد كان إرتطامها بلوحة السرير عنيفا...!!!

ملتقى القديس سانت أوغسطين بالجزائر

متابعة : ديداني أرزقي - الجزائر

الإلتقان والإجادة حيث أمضى ثلاثة عشر عاما في كتابة مدينة الله على سبيل المثال . ويركّز فيه على أمرين وهما المدينة الأرضية - الحياة الدنيا - ومدينة الله وهي المدينة التي رددت الكتب المقدسة ذكرها .

وعصارة الكتاب القيم مدينة الله هي مزيج من التعاليم والتنزيل المسيحي وأفكار المدرسة الرواقية ولاسيما منها أفكار شيشرون وهو فيلسوف روماني تأثر بأفكار الرواقيين . والتيمات الأخلاقية الكبرى هي : أن يحب الإنسان الله . وأن يحب جيرانه . وأن يحب نفسه . ويقوم بكل تصرف يربط أواصر السلام مع الآخرين ويجد المحبة والتآلف .

الأسقف الفيلسوف :

عرفنا تأثره بالفيلسوف شيشرون والمدرسة الرواقية حيث كان الرجل خارق الذكاء فهو الذي برز في حقبة ذات أهمية قصوى تزامنت مع سقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب واعتناق قسطنطين المسيحية وإعلانه سنة 313 عن حرية المعتقد . وأصبحت الفلسفة هواية

انعقد ملتقى القديس المغاربي سانت أوغسطين بالجزائر من 1 . 4 . 2001 إلى 7 . 4 . 2001 م واحتضنت الفعاليات المدن التالية : العاصمة الجزائر مدينة عنابة ومدينة سوق اهراس وهي مسقط رأس الأسقف اللاهوتي والفيلسوف والأديب .

وننوه ، هنا بأن هذا الملتقى يدخل ضمن منتدى دولي حول هذا الفيلسوف الكبير ، وهو يجري في إطار حوار الحضارات الذي أعلنت عنه منظمة الأمم المتحدة ل سنة 2001 م تحت عنوان كبير : **الافريقية والعالمية** .

نبذة عن حياته الحافلة بالإنجازات الثقافية . ولد في (345 - 430) تبع في شبابه هواه فاعتنق مذهب ماني . لكنه ارتد بغض أمه مونيكا والقديس إبروسوس .

من أشهر آباء الكنيسة الغربية . وحاول التوفيق بين العقل والإيمان .

أهم مؤلفاته وأشهرها هي : **مدينة الله** . **في النعمة** . **اعترافات** ، وفي **ترجمات** نحتها . **الاعترافات** أي **معرفة** وهو حريص على

وخلقه لوعي جماعي ، رغم أنه في الظاهر كان رجلا رسميا فهو قد بشر بالعدل والتسامح ونشر المحبة بين البشر . وكذلك على أنه هو الذي أنقذ الكنيسة والمسيحية ولأرائه التي صاغها في بداية القرن الخامس الميلادي أفضل مايعبر عن الفكر السياسي الذي ترتب عليه استقرار الوضع القانوني للكنيسة .

وعلى أنه الخطيب الكبير والكاتب المجيد ولكن الذي كان يبرز في حديثنا عنه هو مغاربيته حيث المولد بسوق أهراس الحدود التونسية الجزائرية وآثاره في هيبون (عنابة) . وبذلك كان عن جدارة الفيلسوف والكاتب والعالم المغاربي ، وقد كان الملتقى الدولي من أول أبريل إلى السابع منه مسرحا للنقاش ومساحة تؤكد على انفتاحنا على الفكر الأصيل ومايعتمل في الكون من تفاعلات حضارية وأننا جزء فاعل في الحضارة قديما وحديثا . ولقد أجمع كل المشاركين على عمق أفكاره والتصاقه بهذه الأرض . وهو مايجعل تجذرا في عمق الحضارة حقيقة ساطعة .

القديس أوغسطين ، ولكنه لم يكتف بها بل تعلم علم الفلك . وسرعة ما انفصل عن المانية وكان سفره باتجاه قرطاجة بمثابة المنعرج في حياته حيث أسس مع أحد الأثرياء معهدا لتدريس فن الخطابة وعند التقائه في روما بالأسقف أمبروسيموس اكتسب أفقا جديدا وخلص إلى أن الإيمان والذكاء يمكن لهما أن يكون في طريق واحد .

من شهادات المؤرخ أندريه ماندوز .
الأخصائي في فكر سانت أوغسطين يقول :
« إن جزءا كبيرا من الحضارة الحديثة والفكر الفلسفي الحديث وجدا بفضل . فلا بد أن نعرف أن الحضارة لم تأت من أوروبا أو الشمال كما يروج لها ، وإنما من الجنوب المتمثل في شخص أوغسطين . »

وقد حاضر أندريه ماندوز عن الفيلسوف موضحا أفكاره وطرق كتابته لأثاره القيمة مدبنة الله واعترافات على سبيل المثال . وتجمع تقريبا كل الآراء على أن القديس على عمق في أفكاره ومدى غناها الفلسفي



المهرجان الوطني للشعر بمدينة المتلوي الدورة التاسعة أيام 4 و 5 و 6 ماي 2001 م محور الدورة « وظيفة اللغة الشعرية »

بقلم : محمد العائش القوتي



انطلقت فعاليات
الدورة التاسعة
للمهرجان الوطني
للشعر بمدينة المتلوي
أيام 4 و 5 و 6 ماي
2001 م محورها
(وظيفة اللغة الشعرية)
والتي من محاورها
الفرعية :

- 1 - تطوّر اللّغة
- الشعرية : مستويات
- الحفاوة باللغة في
- الشعر القديم والشعر
- الحديث - لغة الشعر

- 1 وثقافة المجتمع - اللغة الشعرية والتلقي .
 - 2 الجوانب الجمالية والمعرفية في بنية اللغة الشعرية : التشكل اللغوي المغاير -
والصوت والمعنى - والصورة والإيقاع
 - 3 - المشهد اللغوي في القصيدة العربية الحديثة : اللغة الخصوصية وذات الشاعر -
في المعجم الشعري التونسي - اتساع المعنى وضيق العبارة .
- وهذا المهرجان هو تحت اشراف وزارة الثقافة والمندوبية الجهوية للثقافة بقفصة

ومساهمة شركة فسفاط قفصة والمجلس الجهوي للتنمية بقفصة واتحاد الكتاب التونسيين تونس وبلدية المتلوي والمجمع الكيميائي بالمظيلة ووداية 7 نوفمبر لاطارات شركة فسفاط قفصة وشركة الحراسة والخدمات بالمتلوي وعدة مناولين آخرين.

وتم افتتاح المهرجان باشراف السيد محمد رضا المقراني والي قفصة باستعراض كرنفالي كبير « عرس الشعر » بعاصمة المناجم المتلوي : عرس تقليدي وختان وفروسية وماجورات وملحة تاريخية تروي تاريخ البلاد التونسية منذ 3000 سنة. وفرق موسيقية ونحاسية وطرائقية : علوية وسلامية وعيساوية وسظمبالي وكشافة ومصائف وجولات وجمعيات تنموية وثقافية ومسرحية ورياضية وثقافة وشغل وفنون شعبية وعصرية ورقص شبابي وشعر شعبي وكورال أطفال ومؤسسات اقتصادية وفلاحية واجتماعية وسياحية . ونظم معرض اعلامي وثائقي : مقالات وقصاصات صحفية وصور شمسية وكاسات فيديو من الدورة الاولى ماي 1993م إلى الدورة التاسعة 4 و 5 و 6 ماي 2001 م . وفي مساء يوم الجمعة 4 ماي 2001 م اُقيمت شعرة أولى بساحة تبسة : (نافورة الشعراء) : أصبحت النافورة



تندفق شعرا ..

عظرا ...

تعزف لحنا ..

سمفونيا ..

تظهر سحرا ..

تنطق ..

ماء عذبا ...

يحيل الحياة تضارا وخصبا .

(شعر محمد العائش القوتي من المجموعة الشعرية قصائد الحرية ... قصائد عربية
قفصة جوان 1997 م) .



والشعراء

الضيوف الذين

تداولوا على

المصاح مساء

يوم الجمعة 4

ماي 2001 م

: الشاعر

محمد علي

الهاني (توزر)

الشاعرة فاطمة

الشريف ، الشاعر جمال الصليعي القادم من دوز صاحب ديوان (وادي النمل)
المشهور والشاعر الكبير الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب التونسيين تونس ثم
الشاعر منور عزيزي (بنزرت) والشاعر بلقاسم الشابي ثم الشاعر علالة الحواشي
والشاعرة راضية الرياحي ثم الشاعر محمد الأمين الشريف (توزر) والذي كان
قدومه للمنصة ومنبر الالتقاء في الهواء الطلق في ساحة نافورة الشعراء طالع خير

لنزول الغيث النافع بمدينة المتلوي .

اليوم الثاني من فعاليات المهرجان الوطني للشعر بمدينة المتلوي يوم السبت 5 - 5 .
2001 م الجلسة العلمية الأولى بقاعة سينما الجنوب برئاسة الأستاذ محمد الخالدي

1 - مداخلة

الأستاذ الطيب

حميدي بعنوان

(بوليمورفية

اللغة :

مسارات

الأغصان

والأفئاق)

والتي تناول

فيها للأستاذ

المحاضر اللغة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتخلق الإنسان وتحديد مكان الإنسان في الكون - بوليمورفية اللغة - غسقية
الميسار - وأفاق المسار - اللغة في مجال الشعر والتجربة الشعرية .

2 - مداخلة حاتم الفطناسي بعنوان (اللغة وعلاقتها بالمرجعية الصوفية في الأدب العربي
الحديث) : الأستاذ المحاضر تناول بالدرس والتحليل اللغة العربية وعلاقتها بالمرجعية
الكونية من الجانب الصوفي في الأدب العربي الحديث والمرجعية الصوفية واللغة الضاربة
في الوظيفة الشعرية والخصوصية الشعرية في الصوفية والانطولوجية الشعرية اليومية .

3 - مداخلة الأستاذة شادية شقروش (الأستاذة الجامعية من جامعة تبسة الجزائر) بعنوان
(جمالية اللغة الشعرية في ديوان غبار الوقت للشاعر محمد عمار شاعونية مدير المهرجان)
تناولت الأستاذة قصيد غبار الوقت وهو عنوان المجموعة الشعرية بالدرس والتحليل كنص
مطبوع مثالي : تشكل القصيد - اللغة والتشكيل والفاتحة النصية - من الشعر الحر :
مقاربة شاملة وممارسة لنص شعري جيد .

ثم المناقشات والردود وبعد قراءات شعرية صبيحة يوم 5 - 5 . 2001 م الشاعر السيد

التابعي (نقطة) والشاعر جلال باباي ثم الشاعر سمير ترمش .
وفي المساء من يوم السبت 5 . 5 . 2001 م الجلسة العلمية الثانية برئاسة الأستاذ حاتم الفطناسي : (1) مداخلة الأستاذ عمر حفيظ بعنوان (مقرونية النص الشعري) تناول فيها سمات النص الشعري الحديث والمعاصر التشكيلات على الورق الرسوم الخط نوع شعرية الحس وشعرية التفاصيل . (2) مداخلة الأستاذ سمير السحيمي بعنوان (شعرية لغة القصيدة) تناول المحاضر المدونة الشعرية القديمة الخطاب الشعري مثال كنص الشاعر جمال الصليحي (وادي النمل) ولافتكاك رموزه . متعة الخلق والإبداع وقيمة القص (للكدح) ثم المناقشات والردود .

وأما الأسمية الشعرية الثالثة : الشاعر عبد المجيد البرغوثي من قبلي (حفيد الشاعر الشعبي المعروف أحمد البرغوثي) ثم الشاعر المولدي الشعياني (من المتلوي) والشاعر شمس الدين العوني والشاعر عبد الحميد خريف والشاعر سوف عبيد نائب رئيس اتحاد الكتاب التونسيين تونس ثم الشاعر عادل بوعقة والشاعر مراد العمودوني والشاعر عبد الوهاب الملوح (قفصة) والشاعر الطيب حميدي (المتلوي) والشاعر عادل نصير والشاعر السيد التابعي (نقطة) .

وأما يوم الأحد 6 ماي 2001 م الجلسة العلمية الخامسة برئاسة الأستاذ الطيب حميدي : مداخلة الأستاذ عثمان بن طالب بعنوان : (مسابع الوصل للشاعر الطاهر البكري) : (من قابس) ويعيش بباريس قرناً أستاذ جامعي مختص في اللغة العربية ويكتب باللغتين العربية والفرنسية) واهتم الدارس بمسابع الوصل الصادرة بباريس سنة 1993م ومذكرات الثلج والنار الصادرة كذلك سنة 1997م) : استقرأت في معنى المنفى : التيه الذاكرة المنسية - أدب الرحلة - ثلاثية المنفى والعودة والعبور - ديوان المنفى الشعري (دفتر المنفى) : - ابن حزم - ترحال الشاعر الطاهر البكري في مجموعته الشعرية (قصائد للعشق : - إلى سلمى .) فالبكري شاعر المنفى والحزن فيمكن أن نقول هنا في الأخير : مسابع الوصل أو الفصل ثم المناقشات والردود .

وفسح المجال لقراءات شعرية للشاعر محمد عمار شعابنية مدير المهرجان . ثم تم الإعلان عن نتيجة مسابقة أحسن مجموعة شعرية شبابية صادرة سنة 2000 م وفاز بهذه الجائزة الشاعر صلاح الدين الحمادي عن مجموعته (وادي الليل) . وقراءة البيان الختامي والتوصيات وتوجيه برقية إلى سيادة الرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية واختتام الدورة التاسعة 2001 م وإلى اللقاء في الدورة العاشرة ماي 2002 م .